الباب الثالث

"دور الأحابيش العسكري في العصر الجاهلي وصدر الإسلام"

الفصل الأول: العرب والنظام العسكري فى الجاهلية وصدر الإسلام

الفصل الثاني: دور الأحابيش العسكري في العصر الجاهلي

الفصل الثالث: دور الأحابيش العسكري في وصدرالإسلام

الفصل الأول

العرب والنظام العسكري في الجاهلية وصدر الإسلام

لم يكن العرب خاصة فى منطقة الحجاز يجهلون النظم العسكرية والجيوش النظامية، خاصة أنهم كانوا يحتكون بالدول والحضارات المجاورة، لكن طبيعة بلاد الحجاز وانتشار الجبال والأودية بها حالت دون تأسيس مناطق عسكرية ثابتة يعتمد عليها العرب فى حروبهم، والأهم من ذلك هو أن العرب كانوا منقسمين لقبائل ولكل قبيلة شأنها الخاص، ولكن إذا حدثت حرب بين قبيلة وأخرى نجد تلك القبائل تتحول إلى كتائب حربية يحارب فيها الرجال والنساء سويا، ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد أن عمرو بن لحي الخزاعي عاش ثلاثمائة سنة وأربعين سنة حتى أنه كان يقاتل ومعه من أولاده ألف مقاتل[1]، أضف إلى ذلك أن العرب عندما كونوا تحالفات فيما بينهم كان هذا التحالف بمثابة قوة عسكرية ضاربة يتم استخدامها إذا تعرضت أي قبيلة من قبائل الحلف للهجوم أو الإعتداء عليها، ويتضح ذلك فى حلف الأحابيش الذى كانت قريش تعتمد عليه كثيراً فى أكثر حروبها سواء فى الجاهلية أو الإسلام كما سيتضح ذلك.

---

(١)السجستاني: المعمرين، مطبعة بريل ، ١٨٩٩م ص ٣٦ ؛ ابن الجوزي: أعمار الأعيان، تحقيق/ محمود الطناحي، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط١ ١٩٩٤، ص١١٧.

كما أن قصياً بن كلاب عندما أسس دار الندوة كان بمثابة مجلس للشورى وقيادة عامة يجتمع فيه قريش وغيرهم من العرب للمشورة وإعلان الحرب وعقد ألوية الجيش، ليس هذا فقط بل كانت لا تنكح امرأة ولا يتزوج زوج من قريش إلا فيها، ولا تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قرية إلا فى داره ليشق عليها فيها درعها ثم تدرعه فتنطلق إلى أهلها، ويدخلها كل قريش ومن غير قريش بعد بلوغ من الأربعين[1]، إلا أبناء قصي كانوا يدخلونها فى أي سن.

وإذا كانت الأكاديميات والكليات العسكرية فى العصر الحديث كان هدفها إخراج جنود قادرين على خوض الحروب وقيادتها، وتعليمهم كيف يصبحون جنوداً وقادة، فإن العرب كانوا قادة وعسكرية منذ نعومة أظفارهم ولعل الحروب التي خاضها العرب على مدار تاريخهم فى العصر الجاهلي كانت بمثابة المدرسة الكبرى التي علمت العربي كيف يكون قائداً وعسكرياً لا يهاب المخاطر، مما أهلتهم بعد ذلك لسيادة معظم بلاد العالم، وبرز الكثير من الفرسان والقواد العرب سواء فى جاهليتهم وإسلامهم وهم من الكثرة والشهرة بحيث لا تكفي هذه الدراسة لإحصائهم.

وكان من مظاهر الحياة العسكرية عند العرب هو معرفتهم للكثير من أسلحة القتال ومعرفة كيف يستخدمونها، ووصفوها فى أشعارهم ومن

(١) العصامي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٠٤- ٢٠٥.

أهم تلك الأسلحة السيف، فهو أحسن آلاتهم وأشهرها ذكراً وأكثرها أسماء وصفات وكان بعضها يصنع بالمدينة[١]، حيث كان هناك اليهود، وأشهر السيوف هي السيوف التي كان يصنعها القيون، وهم بني أسد بن خزيمة وقيل أن أول من عمل السيوف من الحديد عند العرب هو الهالك بن مراد بن أسد ابن خزيمة، فلذلك قيل لبني أسد القيون[٢].

والقين هو الحداد، والجمع أقيان وقيون[٣]، كما يقال لكل حداد مالكي، واشتهر من القيون سريج من بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة القيون، وإليه ينسب السيوف السريجية[٤].

ولم يقتصرالعرب فى الحصول على السيوف من المدينة، فكانوا يستوردونها من بعض الأمم المجاورة كالهند، وجاء ذلك فى شعر لعنترة بن شداد:

أكر على الفوارس يوم حرب ولا أخشى المهنّدة الرقاقا

و تطربني سيوف الهند حتى أهيم إلى مضارها اشتياقا [٥]

---

(١) أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، نهضة مصر، القاهرة، ط٢. د. ت، ص١٨١

(٢) ابن رشيق: المصدر السابق ، جـ٢ص٢٠٠.

(٣) ابن منظور: المصدر السابق ، جـ٧ ص٥٦٥.

(٤) ابن رشيق: المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٠٠.

(٥) أحمد الحوفي: المرجع السابق، ص١٨١.

كما استوردوها من بلاد الروم والشام واليمن[١].

ولم يكن السيف مجرد أداة للقتال فقط، بل حرص العرب على تزينها وزرقشتها وتشكيلها، فقد كان للنبي ـصلى الله عليه وسلمـ سيفاً يسمى ذو الفقار لحفر فيه يبدو أنها كانت حفر لتجميل شكل السيف، كما كان له ـصلى الله عليه وسلم ـ ترس فيه تمثال رأس كبش فكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبح وقد أذهبه الله عز وجل[٢].

وأحياناً كان يصنع السيف على شكل سمكة ويسمونها أحياناً نوناً مثل سيف مالك بن زهير المسمى بالنون وبذي النون.

ويقال أن بعض الملوك كانوا يصورون صورة الإمام علي بن أبى طالب على سيوفهم كأنهم يتفاءلون به النصر، مثل عضد الدولة وأبيه ركن الدولة، وكذلك فعل ألب أرسلان السلجوقي وابنه ملك شاه[٣]، وكان العرب أحيانا يطلون سيوفهم بالذهب والفضة[٤].

ومن أدوات القتال أيضاً الرماح، وكان يشتهر باستخدامها الحبش على وجه الخصوص، مثل وحشى بن حرب الحبشي ـ رضي الله عنه – قليلاً ما

(١) أحمد الحوفي: المرجع السابق، ص١٨٢.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ٢ ص ١٧٦.

(٣) أحمد تيمور: التصوير عند العرب، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦ ، ص٧٠.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٠٩.

كان يخطئ هدفه[١]، واشتهر من الرماح، اليزنية نسبة إلى سيف بن ذي يزن الحميرى ملك اليمن، وكذلك الرماح الخطية نسبة إلى جزيرة بالبحرين تسمى الخط[٢] كما عرف العرب السهام، وكان العرب على علم واعتناء بتعليم الرمي بالسهام والتي كانت من أنكى أسلحتهم[٣].

وأشتهر من الأحابيش القارة بالرمي حتى ضرب بهم المثل فى ذلك، وأنشدوا مفتخرين بذلك:-

قد أنصف القارة من راماها إنا إذا ما فئة نلقاها

نرد أولاها على أُخراها [٤].

كما عرف العرب أيضاً الدروع، واستخدمها الأحابيش وغيرهم من العرب واليهود، والدرع هو القميص المتخذ من الذرد، وقيل أنها تنسب إلى فرعون، قال راشد بن كثير: -

بكل فرعونية لونها مثل بصيص البغشة الغادية[٥]

---

(١) ابن هشام: المصدر السابق ، جـ٣ ص١٦.

(٢) ابن رشيق: المصدر السابق ، جـ٢ ص ١٩٨، ٢٠٠.

(٣) الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣ ص٣٥٤.

(٤) الميداني: مجمع الأمثال ، جـ٢ ص١٢٢.

(٥) ابن رشيق: المصدر السابق ، جـ٢ ص١٩٩. والبغشة هي المطرة الضعيفة، والغادية هي السحابة.

وقيل تنسب إلى داود وسليمان -عليهما السلام-[١].

وقد كانت هناك أشكال عدة للدروع، وكانت موجودة بكثرة، ففي غزوة بني قينقاع (٢هـ) كان مع يهود بني قينقاع ثلاثمائة درع[٢].

وكان فى بعض الأحيان يقاتل العربي بين درعين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فى إحدى غزواته، وكذلك فعل أبو سفيان وابنه سفيان بن حرب، وحرب بن أمية فى حرب الفجار الرابعة التي إشتركوا فيها مع الأحابيش، فقد لبس كل منهم درعين[٣].

ومن الأسلحة الأخرى التي إستخدمها العرب بوجه عام والحجازيين بوجه خاص بما فيهم الأحابيش النبل، والإبل والخيول التي تعد من أهم أسلحة الحرب عند العرب وتسابقوا إلى اقتنائها وانتقائها، وعن الخيل وأهميتها يذكر ابن الكلبي: "كانت العرب تربط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفة بفضلها، وما جعل الله تعالى فيها من العز، وتشرفا بها، وتصبر على المخمصة والاواء وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد وتفتخر بذلك فى أشعارها وتعتده لها، فلم تزل على ذلك من

(١) ابن رشيق: المصدر السابق ، جـ٢ ص١٩٩؛ والألوسي: بلوغ الأرب ج٢ص٦٦. والأصح أن الفراعنة أقدم من إستخدمها كما يدل على ذلك النقوش الأثرية الموجودة على المعابد الفرعونية ، كما كان داود عليه السلام أيضاً كان يتقن صناعتها ، وهو الذى آلان الله له الحديد، ولكن ليس هو أول من صنعها.

(٢) ابن هشام: المصدر السابق ، جـ٣ ص٦.

(٣) ابن حبيب: المنمق ، ص١٧٧.

حب الخيل ومعرفة فضلها حتى بعث الله نبيه عليه السلام، فأمره الله باتخاذها وارتباطها[١].

قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ)[٢].

ولقد بيّن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ فضل الفرس فى القتال، وجعل لها نصيباً من الغنيمة[٣]، ففضلها فى السهمين على أصحابها، فجعل للفرس سهمين ولصاحبه سهماً وللمشاة سهم، ويرى أبو حنيفة أن المسلمين إذا أصابوا الغنائم وأرادوا قسمتها فيعطي للفارس سهمان، سهماً له، وسهماً لفرسه وللراجل سهماً وقال: لا أجعل سهم الفرس أفضل من سهم الرجل المسلم وهو قول أهل العراق من أهل الكوفة والبصرة، إلا أن أبا يوسف يقول إنه للفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه وهو قول أهل الحجاز وأهل الشام[٤] هذا بخلاف سهم الراجل.

وقد يكون السبب فى تخصيص الفارس بثلاثة أسهم دون الرجل هو أن الفارس يتكفل بتوفير الأعلاف والمستلزمات الخاصة بخيله.

---

(١) ابن الكلبي: أنساب الخيل، تحقيق /أحمد زكي، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٦.

(٢) الأنفال: ٦٠.

(٣) ابن الكلبي: أنساب الخيل ، ص٧.

(٤) الشيباني: شرح السير الكبير، تحقيق/ محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٩٧م، جـ٣ ص٣٥.

وقد كان من الصحابة من يجيدون ركوب الخيل. فقد كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يأخذ بيده اليمنى أذنه اليمنى، وبيده اليسرى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزة ويثب فكانما خلق على ظهر فرسه[١].

ومن الأقوال المروية عنه - رضي الله عنه- قوله: "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ورووهم ما يجمل من الشعر".

ومن الأسلحة الأخرى التي عرفها العرب وإستخدموها فى حروبهم المنجانيق أوالمنجنيق والجمع منجنيقات ومجانيق، وهي مشهورة لا تحتاج للتعريف بها، وعن بداية استخدامها، قيل إن أول من صنع المنجانيق رجل من الأكراد يدعى هزن صنعها لقوم سيدنا إبراهيم– عليه السلام– عندما قرروا حرقه فى النار[٢].

وقيل أول من رمى بالمنجنيق هو جذيمة بن مالك الأبرش[٣]، وقيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق رمى به

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٣، المجلد الأول ص١٣٣.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق ، جـ١ ص١٥٠. والقصة مشهورة كما فى سورة الأنبياء (٦٨ -٧٠).

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ،جـ١ ص٣٦٢؛ والمبرد: الكامل فى اللغة والأدب، جـ٢ ص٣١٩؛ التلمساني الخراعي: تخريج الدلالات السمعية ،القاهرة ١٩٩٥، ص٤٨٩.

أهل الطائف[١]، ويبدو أنه لا تعارض بين الأقوال الثلاثة، فإن هزن هو أول من صنعها لغرض رمي إبراهيم الخليل فى النار، ثم استخدمها جذيمة الأبرش قبل الإسلام، ثم أُهمل استخدامه حتى أعاد النبي صلى الله عليه وسلم استخدامه فى حروبه حيث استخدمه فى حصار الطائف، ثم استخدمها المسلمون في صدر الإسلام، حيث استخدمها المسلمون فى أثناء حصارهم لمدينة يلنجر[٢] سنة اثنين وثلاثين من الهجرة[٣].

ومن الأسلحة الأخرى التي استخدمها العرب فى حروبهم الدبابة، وهى آلة كالبيت الصغير يعمل من جلود الإبل والبقر والخشب تعمل للحصون، يدخلها الرجال فينقبون من داخلها ويكون سقفها حرزاً لهم من الرمي[٤]، وسميت دبابة لأنها تدفع فتدب، وتستخدم عندما تكون هناك حصون يصعب اقتحامها، وفى حديث عمر–رضي الله عنه – قال: كيف تصنعون بالحصون؟ قال: نتخذ دبابات[٥].

وقد إستخدم المسلمون الدبابات فى حصار الطائف[٦].

---

(١) ابن هشام: السابق ، جـ٤ ص٨٤؛ ابن الأثير جـ٢ ص١٣٧؛ الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية ، ص٤٨٩، ٤٩١.

(٢) مدينة ببلاد الخزر، سكنها الاتراك. الحموي: معجم البلدان ، جـ١ ص٣٨٦.

(٣) الطبري: المصدر السابق ، جـ٢ ص٧١٨.

(٤) ابن منظور: السابق ، جـ٣ ص٢٨٣؛ الخزاعي: السابق ص٤٩٣.

(٥) ابن منظور: السابق ، جـ٣ ص٢٨٣.

(٦) ابن هشام: السابق ، جـ٤ ص ٨٤؛ ابن الأثير: السابق جـ٢ ص١٣٧.

كما عرف العرب أيضاً فى حروبهم الأساطيل البحرية، وكان معرفة العرب بركوب البحر قديمة، فكانوا يركبونها فى تجارتهم خاصة إلى الحبشة كما إستخدمها المسلمون فى الهجرة إلى الحبشة والعودة منها أيضاً، ولكن إستخدم السفن فى الحرب كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث تنبأ قبل وفاته أن المسلمون سوف يغزون فى البحر، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنة ملحان[١] فاتكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: لم تضحك يارسول الله؟ فقال "ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر فى سبيل الله، مثلهم مثل الملوك علىالأسرة"، فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "اللهم أجعلها منهم" ثم عاد فضحك فقالت له مثل ذلك ، فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين ولست من الآخرين"، قال: أنس فتزوجت عبادة ابن الصامت فركبت البحر مع فاخته بنت قرظة زوجة معاوية بن أبي سفيان، فلما قفلت ركبت دابتها، فوقعت بها، فسقطت عنها فماتت[٢]

وقد كان ذلك فى سنة سبع وعشرين مع معاوية حين استأذن عثمان بن عفان ـرضي الله عنهماـ فى غزو قبرص فأذن له، فركب المسلمين فى

(١) هي أم حرام بنت ملحان، خالة النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وزوجة عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) البخاري: الصحيح كتاب الجهاد والسير ، حديث رقم ٢٨٧٧، ٢٨٧٨ باب غزو المرأة فى البحر.

المركب حتى دخلها وفتحها قسراً[١]، وأما الثانية فقد كانت فى سنة اثنين وخمسين فى أيام ملك معاوية حينما أمر ابنه يزيد على الجيش لغزو القسطنطينية وكان معه أبو أيوب الأنصارى فمات هناك[٢].

وكانت الرغبة فى إمتلاك سلاح بحري للمسلمين فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما أرسل إليه معاوية بن أبى سفيان يطلب منه ذلك، ولكن لما وصف عمرو لعمر - رضي الله عنهما - البحر قال عمر: "لا والذي بعث محمداً بالحق، لا أحمل فيه مسلماً أبدا" ولكن فى خلافة ذو النورين عثمان بن عفان (٢٣ -٣٥هـ / ٦٤٤ -٦٥٦م) أعاد معاوية بن أبى سفيان الطلب على الخليفة عثمان فى ضرورة امتلاك أسطول بحري أذن له الخليفة ولكن بشرط ألا يجبر أحد على ركوبه بل يكون الأمر اختيارياً، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة[٣].

ومن هنا بدأ استخدام الأسطول فى الفتوحات الإسلامية منذ صدر الإسلام، وكان أشهرها وقعة ذات الصواري (٣١هـ -٦٥١م) حينما حقق

---

(١) ابن كثير: النهاية فى الفتن والملاحم، جـ١ص١١.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق، جـ ١ ص١١.

(٣) إبراهيم على طرخان: المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطي، سجل العرب، القاهرة ١٩٦٦م، ص٦١.

المسلمون إنتصاراً ساحقاً على البحرية البيزنطية التي كانت أقوى بحرية آنذاك[١].

وقد إستخدم العرب أيضاً طرقاً جديدة فى الحروب بجانب استخدام أسلحة جديدة، مثل استخدامهم الخندق فى الحرب كغزوة الخندق (٥هـ)، والذى أشار به الصحابي سلمان الفارسي – رضي الله عنه- وفى هذه الغزوة قال المهاجرون: "سلمان منا"، وقالت الأنصار: "لا بل سلمان منا"، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "سلمان منا أهل البيت"[٢].

كما كان العرب لهم مواقيت يحاربون فيها وأوقات أخرى كانوا يحرمون فيها القتال مثل الأشهر الحرم وهي المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة[٣]، وقد سمي شهر ذو القعدة بهذا الاسم لأن العرب كانوا فيه يقعدون عن القتال وعن الحروب والغارات[٤]، حتى إن العرب لما قاتلوا فى أحد هذه الأشهر سميت حربهم بالفجارلأنهم فجروا بمحاربتهم فى الأشهر الحرم.

---

(١) إبراهيم طرخان: المسلمون فى أوربا ، ص٦١.

(٢)ابن الجوزي،صفة الصفوة،تحقيق/أحمد علي، دارالحديث، ٢٠٠٠م ج١ ص٢٠٣

(٣) المسعودي: مروج الذهب ، جـ٢ ص٢٠٨.

(٤) المسعودي: المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٠٨. ويقال إنما سمي بذوالقعدة لقعودهم فى رحالهم لا يطالبون كلأ ولا سيرة ، المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ١٩٩٦م ص٢٠٦. وقد يكون المراد أحد سواء بالقعود عن القتال أو طلب الكلأ، لأن كثيراً ما كان يتسبب طلبهم للكلأ فى وقعهم فى الحروب للحصول عليها.

وكان هناك أزماناً يستحب فيها القتال مثل الليل والنهار، لكن على ما يبدو أن أكثرها كان بالليل حيث كانت أكثر الإغارات ليلاً ففي هذا الوقت يكون القوم رقود مما يحقق عنصر المفاجأة فيستولون على أكبر قدر من الغنائم وبأقل الخسائر[١].

وقد جاءت بعض الأشعار تفيد بوقوع الحروب والغارات ليلاً مثل افتخار عنترة بكتيبة من أصحابه كانوا يغيرون معه وقد تمايلت أعناقهم من النوم وقادهم فى الظلام قائلا:-

وصحابة شم الأنوف بعثتهم ليلاً وقد مال الكرى بظلاه
وسريت فى فلسي الظلام أقودهم حتى رأيت الشمس ذال ضحاها
ورأيت فى كبد الهجير فوارساً فطعنت أول فارس أولاها[٢].

ومن أشعارهم التي توضح غزوهم بالصباح قول عامر بن الطفيل:

صبحناهم بكل أقب نهد ومطرد له يقد الحديد
لقينا جمعهم صبحاً فكانوا كمثل الضأن عاداهن سيد[٢].

(١) أحمد الحوفي: المرجع السابق ، ص١٧٨.
(٢) أحمد الحوفي: المرجع السابق، ص١٧٩.
(٢) احمد الحوفي: السابق،ص١٧٩.

الفصل الثاني

دور الأحابيش العسكري في العصر الجاهلي

لقد كان يلي أمر مكة والحرم الشريف قبل قريش خراعة، وسبق توضيح كيف جاءوا إلى مكة، وأخذت ولاية مكة والحرم تنتقل إلي يد الخزاعيين حتى وصلت حليل بن حبشية[١] وقيل خليل بن حبشية[٢] - والصواب حليل-، الذى يعتبر آخر من ولى ولاية مكة من خراعة وفى فترة ولاية حليل قدم قصى بن كلاب إلى مكة[٣]، وتزوج من حبى بنت

(١) ابن عبد ربه:المصدر السابق ، جـ٣ ص٣٨٢؛ الفاسي: شفاء الغرام ،ج٢ ص٨١

(٢) الأزرقي: المصدر السابق ، جـ١ ص١٢٧؛ ابن الضياء: تاريخ مكة، ص٥٩.

(٣) كان قصى بن كلاب ابناً لكلاب بن مرة الذي كان له ولداً يدعي زهرة ويسمى أيضا بالمغيرة، وقد أنجبه كلاب من فاطمة بنت سعد بن سيل، وبعد فترة من الزمن أنجب كلاب من فاطمة أخاً لزهرة يدعى زيد (قصى بعد ذلك) وكانت الشيخوخة وكف البصر قد نال كلاب، وما لبث كلاب أن توفى وابنه لم يتجاوز سن الفطام، وفى ذلك الحين قدم وفد حجيج من قضاعة فيهم ربيعة بن حزام من بني عذرة فتزوج من فاطمة وحملها معه هى وأبنها زيد إلى بلاد قضاعة بأطراف الشام، فسمي زيد بقصي لتباعده عن عشيرته فى بلاد قصاعه، وتركت فاطمة ابنها زهرة مع قومه لكبره، وكان قصي يعرف أنه ابن ربيعة بن حزام ولا شيء غير ذلك حتى وقع عراك بينه وبين أحد القضاعين، ولما غلبه قصى قال له القضاعي لا تلحق بنسبك وقومك فسأل قصى أمه عن حقيقة أهله، فأخبرته بما كان، وهم قصى على العودة لمكة، إلا أن أمه أقنعته بالمكوث حتى يذهب مع وفد الحجيج، ولما عاد قصى لمكة تعرف عليه أخيه زهرة، ثم أخذ قصى ينمو ذكره ومكانته بين المكيين حتى تزوج من حبى بنت جليل بن حبشية. الأزرقي جـ١ ص١٢٧ ابن حبيب: المنمق ص٣١، ابن سعد، جـ١ ص٩٣، ٩٤، البلاذري جـ١ ص٤٨، الفاسي: شفاء الغرام جـ٢ ص٨١، ابن الضياء: السابق ص٥٩؛ البرزنجي: شرح المولد النبوي، تحقيق نادي فرج، مركز ابن العطار للتراث ، القاهرة ص٧٨.

حليل بن حبشية، بعد أن ظهرت مكانته، وأنجب قصي منها أربعة أولاد هم:- عبد مناف ويسمى المغيرة، وعبد الله وهو عبد الدار وعبد العزى وعبداً[١] وقد انقرض عقب عبد[٢]، وأنجب قصى من البنات برة وتخمر[٣].

وقد كان قصى يخطط للاستيلاء على ولاية الحرم ومكة لأنه كان يعتبر ذلك حقه وإرثه من جده إسماعيل عليه السلام، ويبدو أن الظروف كانت مواتية لقصي لكي يحقق هدفه، فقد كان حليل بن حبشية كبر وضعف، فإذا اعتل أعطى ابنته مفتاح الكعبة لفتحها وإذا اعتلت هي الأخرى كانت تعطي المفتاح لقصي أو بعض ولدها فيفتحه[٤] بعد أن تزوجت بقصي، وفى بعض الأحيان كانت تعطى المفتاح لأخيها المخترش الشهير باسم أبى غبشان بن حليل[٥].

وقبيل وفاة حليل بن حبشية أوصى لقصي بسدانة البيت إكراماً لابنته، وقيل بل سأل المخترش أن يجعل إليه السدانة مقابل ناقة كانت له وزق خمر[٦] وقيل بل ابتاع قصى ولاية مكة بزق خمر فقط من أبى غبشان فحمل قصى المفتاح إلى قومه القرشيين فقال لهم: هذا مفتاح بيت أبيكم

---

(١) ابن الكلبي: جمهرة النسب ص٢٦؛ الطبري: السابق جـ١ ص٥١٣.

(٢) ابن حزم: جمرة أنساب العرب، ص١٥.

(٣) ابن الكلبي: المصدر السابق ، ص ٢٦.

(٤) الفاسي: المصدر السابق ، جـ٢ ص٨١.

(٥) البلاذري: المصدر السابق ، جـ١ ص٤٩.

(٦) البلاذري: المصدر السابق، جـ١ ص٤٩.

إسماعيل قد رده الله عليكم من غير غدر ولا ظلم، فلما أفاق أبو غبشان ندمه أصحابه على ما فعل فأنكر البيع وقال: إنما رهنته عنده رهناً بحقة، فقال الناس أخسر من صفقة أبي غبشان[١]، وأحمق من أبى غبشان[٢] وأندم من أبى غبشان[٣].

عندئذ وقعت نار الحرب بين القرشيين الذين كانوا يقيمون آنذاك متفرقين فى الشعاب حول مكة فى بني كنانة[٤]، وبين خزاعة التي كانت تلي مكة والحرم والبطحاء[٥]، وكانت الحروب بينهما طاحنة، وكانت محاولات الصلح بين الطرفين وتبادل الرسل فيما بينهم لا تجدي، فقرر قصي أن يستعين فى حربه ببني كنانة[٦]، وأخيه من أمه رزاح بن ربيعة ومعه ثلاثة أخوة من أبيه من إمرأة أخرى[٧]، فقدم رزح وأخواته الثلاثة

---

(١) الفاكهي: المصدر السابق ، جـ٥ ص١٧١ ؛ ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق / محمد علي ، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩، ص٣٩.

(٢) الميداني: المصدر السابق ، جـ١ ص٢٨٠؛ابن الجوزي: المصدرالسابق، ص٣٩.

(٣) الميداني: السابق ،جـ١ ص٢٨٠، جـ٢ ص٤١٩؛ ابن الجوزى: السابق ص٣٩.

(٤) اليعقوبى: السابق ، جـ١ ص٢٠٣.

(٥) البلاذري: السابق ، جـ١ ص٤٩.

(٦) يقال أن قصى سار إلى بني كنانة لنصرته فى حربه ضد خزاعة وأري أن الذين ساعدوا قصى فى حربه من بني كنانة هم بني الحارث بن عبد مناه الذين استنصر بهم ابنه عبد مناف وعقد معهم حلف الأحابيش، وكذلك بني الديل بن بكر الذي كانوا ضمن الأحابيش وكان لهم حلف قديم مع السيل جد فاطمة أم قصي بن كلاب. ابن سعد: جـ١ ص٩٣. أما باقى بطون بني بكر بن عبد مناه وقفت ضد قصي.

(٧) الطبري: السابق ، جـ١ ص٥١٣.

وجماعة من قضاعة[١]، واندلعت الحرب واقتتل الفريقان قتالاً شديداً وكثر القتلى، فتم الاتفاق على الصلح، ويقال أن قصياً قد برز على فرسه مخاطباً خزاعة قائلاً "يا معشر خزاعة، لما كان لكم مفتاح البيت والملك علينا، أنازعناكم فى شيء من ذلك؟ قالوا: لا، قال: فلما أعاد الله لنا بيت آبائنا[٢] لم حسدتمونا فيه وجعلتم تقاتلونا عليه؟ وأيم الله، لو قاتلنا عليه ولم نأخذه بحق، لكنا فى ذلك معذورين، فإن طلب الوراثة فى الرياسة مكرمة، وقد علمتم أنّا لا نخليه أبداً، وهؤلاء إخواننا بنو كنانة معنا لا معكم[٣]، وأنتم غرباء بعد أرض اليمانية[٤] فى أرض المعدية[٥]، فإن جنحتم إلى السلم وطلبتم القرار فى مهاد العافية، فأقيموا طالبي ملك ولا حاجة لنا فى غير هذا البيت وجوره، فإن إنقدتم إلى ما قلته إنقدنا إلى حسن جواركم وشدخت هذه الدماء التي بيننا وإن أبيتم فالسيوف لها الحكم والنصر من السماء، وللأمور دلائل، وللإقبال علامات، والشقي من عاند السعد عند إقباله"[٦].

---

(١) يقال أن رزاح قدم فى ثلاثمائة رجل. الفاسي: تحفة الكرام ، ورقة ١٩٦ب.

(٢) يشير قصى إلى ولاية وإشراف أجداده، إسماعيل عليه السلام ونبيه على البيت قبل أن يستولى عليها الجراهمة والخزاعيين.

(٣) الذين وقفوا مع قصي من بني كنانة بني الحارث بن عبد مناه وبني مالك بن كنانة الذي أقرهم قصي على النسيء كما كانوا عليه، أما باقي بني بكر كانوا ضده.

(٤) حيث أن الخزاعيين يرجع أصلهم إلي اليمن التي هاجروا منها بعد انهيارسد مأرب.

(٥) أرض معد بن عدنان جد العرب الشمالية الذين منهم قريش.

(٦) ابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب فى جاهلية العرب تحقيق / نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ١٩٨٢م ص١١٧.

وبعد كلام قصي هذا قرر ذوي العقل والحكمة من خزاعة أن يقبلوا ما قاله قصى ويوقفوا أتون الحرب التي راح ضحيتها أكثر من خمسمائة وعشرين قتيلاً، وثلاثين جريحاً[١] من قريش وبني كنانة دون قتلى خزاعة وبني بكر، وتم الاتفاق على أن ينزل أطراف النزاع على حكم يعمر بن عوف من بني بكر بن عبد مناة ،والذى حكم بأن قصياً له الحق فحجابة الكعبة وولاية أمر مكة دون خزاعة، وأن تبقى خزاعة فى مساكنها كما هي ولاتخرج من مكة[٢].

كما قضى بأن كل دم أصابته قريش من خزاعة موضوع يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر بن عبد مناة من قريش وبني كنانة فيه الدية فودوا خمسمائة وعشرين دية وثلاثين جريحا[٣]، فسمي يعمر بن عوف بالشداخ لما شدخ من الدماء[٤].

واستتب الأمر لقصي وأدخل قريش الظواهر فكان قريش البطاح الذين أدخلهم قصي داخل مكة[٥].

وقبائل قريش البطاح هم بنو عبد مناف، وبنو عبد الدار وبنو عبد العزى وبنو عبد بن قصي بن كلاب وبنو زهرة بن كلاب، بنو يتم وبنو مخزوم بن

---

(١) الشامي: سبل الهدي والرشاد ، جـ١ ص٣٢٤.

(٢) الأزرقي: جـ١ ص١٢٨ -١٢٩.

(٣) الشامي: جـ١ ص٣٢٤.

(٤) الأزرقي: جـ١ ص١٢٩، الشامي: ج١ص٣٥٤.

(٥) البلاذري: ج١ ص٥١.

يقظة بن مرة، وبنو سهم، وبنو جمح أبناء عمرو بن هصيص بن كعب وبنو وبنوعدى بن كعب وبنو حسل بن عامربن لؤي وبنو هلال بن أهيب بن ضبه ابن الحارث فهر، وسموا أبطحيين لأنهم دخلوا مع قصى البطاح[١].

أما قبائل قريش الظواهر فهم بنو معيص بن عامر بن لؤي، وتيم الأدرم ابن غالب بن فهر، ومحارب والحارث ابنا فهر، إلا بني أهيب بن ضبه وبني هلال بن مالك بن ضبه فإنهم أبطحيون أدخلهم قصي مع قريش البطاح[٢] لمكة.

أما سائر قريش ليسوا بطاحاً ولا ظواهر وهم:-

سامة بن لؤي، وقع إلي عمان تحالفوا مع أزد عمان، والحارث بن لؤي ذهبوا إلى اليمامة فهم فى بني هزان من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار والحارث وهو جشم[٣]، وخزيمة بن لؤي وقعوا بالجزيرة إلى بني الحارث ابن همام بن مرة بن زهل بن شيبان، وسعد بن لؤي، وبنو عوف بن لؤي وقعوا إلى غطفان، وقد ألحق عثمان بن عفان ـرضي الله عنهـ هذه القبائل بقريش حين تولى الخلافه[٤].

(١) ابن حبيب: المحبر ، ص١٩٠.

(٢) ابن حبيب: المحبر ، ١٩١.

(٣) المصدر السابق ، ص١٩١.

(٤) المصدر السابق ، ص١٩١.

ولقد عمل قصي على الاستئثار بالوظائف الدينية والسياسية، ووزعها بين أولاده ، فيقال إن أول شيء فعله هو الاستيلاء على ما كان فى يد بني صوفة بن مر من إجازة الحاج، وكان هذا التصرف من قصي قد أغضب خزاعة وبني بكر وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة[١]، فتسبب ذلك فى الحروب التي وقعت بين بكر وخزاعة ضد قصي وحلفائه والتي إنتهت بحكم الشداخ بأحقية قصي بأمر مكة، ثم قام قصي بتأسيس دار الندوة، لما كبر قصي وفرق المناصب والوظائف على أولاده، فجعل الحجابة والندوة والسقاية والرفادة واللواء لعبد الدار وهو أكبر أولاده وكان ضعيفا مسناً فخصه بذلك ليلحقه بإخوته[٢]. وبعد ذلك اقتسم أبناء عبد الدار وأبناء عبد مناف هذه الوظائف[٣].

---

(١) الطبري: جـ١ ص٥١٤.

(٢) ابن حبيب المصدر السابق ، ص ٣٢.

(٣) أحمد الشريف: المرجع السابق ص١٠٦. على الرغم من الأشياء التي قام قصي بتأسيسها مما رفع من مكانة مكة أكثر مما كانت عليه ، وكثرة الأعمال التي شيدها ونظمها جعل بعض المستشرقين يشككون فى وجود قصي ، واعتبروه أسطورة لا وجود لها ترجع إلى نص نبطي ورد عليه اسمه ليقول أن قصياً كان شبه معبود عربي قديم انتقلت عبادته من الأنباط إلى مكة مع دخول قريش فى المدينة وكان دخول هذه الأسطورة تقريبا عام ٣٠٠م فيكتور سحاب: المرجع السابق ص٢٨٦-٢٨٧.ويكفي بالرد على هارتمان صاحب هذا الإدعاء أنه لم يذكر بين آلهة ومعبودات العرب وخاصة المكية أي إله أو صنم يدعى بقصى ، ويكفي وجود دار الندوة التي أسسها قصي إلى عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله الذي هدمها ، وأدخلها فى المسجد وكان قبل ذلك دار الإمارة مكة منذ عهد الخليفة معاوية الذى اشتراها بمائة ألف درهم فجعلها مقراً لإمارة مكة ، كما أن أجداد وأمهات وأبناء قصى غير مجهولين ، ولاشك أن هذا الادعاء هو من الادعاءات

لم تدم الوحدة القبلية التي أسسها قصى على ما كانت عليه من القوة والمتانة، فكان قصى قبل وفاته أسند إلى ابنه الأكبر عبد الدار السقاية واللواء والرفادة والحجابة وأعطاه مفتاح الكعبة[١]، ولعل السبب فى ذلك بخلاف كبر سن قصي، هو المكانة التي تبوؤها عبد مناف بن قصي، فخاف قصي من النزاع ووقوع الشقاق بين أبنائه بعد وفاته، فحسم الأمر وأسند إلي ابنه عبد الدار الأمر من بعده، فما كان من الأبناء إلا النزول على رغبة أبيهم وظل عبد الدار يلي أمر مكة طيلة حياته[٢].

ولكن من اللافت للنظر أن بعد وفاته قصي أخذ الضعف يدب فى الوحدة التي أسسها قصي رويداً رويداً، وتطلع بني بكر بن عبد مناة إلى استرداد ما كانوا عليه قبل أن يجليهم قصي مع خزاعة عن مكة، ويبدو أن خطر بني بكر أصبح يزداد مما جعل بني عبد مناف بن قصى يسارع إلى الأحابيش ليقفوا معه ويساندوه فى مواجهة تهديدات بني بكر فبعث عبد مناف إلي بني الهون بن خزيمة وبني الحارث بن عبد مناة واللذان أرسلاهم الآخران إلى بني المصطلق والحيا الخزاعيين فأجابوهم فأقبلت بني الهون يقودها أبو ضرار بن مالك، وأقبلت بني الحارث يقودها شيظن

والخزعبلات التي كان يجئ بها بعض المستشرقين فى محاولاتهم للمجيء بأشياء والتشكيك فى أشياء متعلقة بتاريخ العرب والمسلمين ، ومن هؤلاء المغالين المتعصبين لامنس والذي سبق وأن تعرض الباحث له ولبعض أرائه.

(١) محمد هيكل: حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٥ ٢٠٠٥، ص١١٢.

(٢) محمود عرفه: العرب قبل الإسلام ، ص١٩٤.

بن عمرو أخو بني أحمر[١]، وخرج عبد مناف إليهم فحالفهم[٢]، فكان ذلك على ما يبدوا أول حلف تعقده قريش مع الأحابيش.

ويقال إن قصياً هو الذي عقد الحلف قبل ذلك، حيث حالف عامر بن عوف المسمى بمسك الذئب، ويقال بل الذى حالفه عبد مناف وزوجه ابنته ريطه[٣] التي إشتركت فى عقد حلف الأحابيش مع قريش كما سبق ذكر ذلك، ولا يستبعد أن يكون قصي هو الذي بدأ بعقد التحالف بين قريش والأحابيش ثم عمل عبد مناف على تأصيل هذا التحالف بتزويج ابنته بأحد كبار زعماء الأحابيش، وتوثيق التحالف مع الأحابيش، وضمان أن يقف الأحابيش بجانب صهرهم عبد مناف الذي سيصبح بعد ذلك جداً لأبناء سيد الأحابيش عامر بن عوف.

ولا شك أن خبر عقد عبد مناف لحلف الأحابيش مع قريش لم يكن إلا لوثوق عبد مناف فى الأحابيش وخاصة بني الحارث بن عبد مناة الذين كانوا معروفين بأنهم من أعز بني كنانة، وأمنعهم وأنفعهم وأجودهم[٤]، لذا كان القرشيون يتسابقون لعقد الحلف مع أبناء الحارث بن عبد مناة سادة الأحابيش، ومصاهرتهم كما فعل عبد مناف من قبل، ثم

---

(١) قد يكون المقصود ببني أحمر أبناء عمرو بن الحارث، وكان عمرو يدعى بالأحمر الحموي: المقتضب، ص٨٣.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، ص٢٣١. وقيل بل اسمه عمرو بن هلال بن معيط. البلاذري: جـ١ ص٥٢.

(٤) القالي: المصدر السابق، جـ٣ ص٢٤.

تسابق قريش لعقد الحلف مع خالد بن مبذول أبو قارظ من بني الحارث بن عبد مناة عندما دخل مكة، فكلهم دعاه إلي أن ينزله أو يزوجه، فتم الأمر فى نهايته إلي تحالفه مع عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب، وتم تشديد هذا الحلف داخل المسجد الحرام[١].

بهذه التحالفات وغيرها من التحالفات التي عقدتها قريش مع الأحابيش، أو أحد عشائر وبطون الأحابيش على حدة، كان كفيلاً وحده للحد وتحجيم اعتداءات بني بكر وغيرهم على قريش.

ولقد بقيت الأمور مستقرة إلى حد ما بعد أن عقد عبد مناف الحلف مع الأحابيش، وكان عبد مناف قد أنجب أربعة أولاد هم:- هاشم وعبد شمس والمطلب، أمهم عاتكة بنت مرة من بني ذكوان، أما الرابع فهو نوفل من إمرأة تدعى بواقدة بنت عمرو المازنية[٢].

وقيل فى عدد أبنائه غير ذلك[٣].

وجدير بالذكر أن عبد مناف قد تزعم قريشاً لكنه أبقى على المناصب التي كانت فى يد عبد الدار فى يد أبنائه، والدليل أن بني عبد مناف لما

---

(١) ابن حبيب: السابق ، ص٢٣٩.

(٢) العصامي: المصدر السابق ، جـ١ ص٢٣٠.

(٣) قيل أن عبد مناف ولد ستة نفر وستة نسوة، هم المطلب وعمرو (هاشم) ، وعبد شمس وتماضر وحنة (حية) وقلابة وبرة وهالة أمهم عاتكة الكبرى بنت هلال من بني ذكوان بن سليم، ونوفل وأبا عبيد مات صغيراً، وأمهم واقدة بنت ابى عدى، وريطة، وأمها من ثقيف وأبو عمرو أمه من ثقيف. ابن هشام: جـ ١ ص٦٩، ابن سعد:جـ١ ص١٠٦- ١٠٧.

عظم شأنهم رأوا أنهم أحق بما يتولاه بنو عبد الدار منهم[١]، فكان صاحب أمر بني عبد مناف: عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسن بني عبد مناف[٢]، وقيل بل كان المطلب هو أكبر بني عبد مناف[٣] وقيل هاشم[٤] وهو توأم عبد شمس كما قيل، إلا أن أهم من قام بالأمر بعد عبد مناف هو المطلب أو عبد شمس لأن عبد المطلب هو الذى كان يقود قريش فى حروبها ومعه الأحابيش، فقد كان هاشم كان كثير التجارة لا يستقر به المقام بمكة، فكان كثير الترحال حتى أنه توفى فى غزة[٥]، وعمره على ما قيل خمسة وعشرون سنة، ويذكر ابن سعد أن المطلب هو أكبر أولاد عبد مناف وهو الذي عقد الإيلاف مع النجاشي[٦]، ومن المعروف أن الذي عقد الإيلاف مع نجاشي الحبشة هو عبد شمس[٧]، الذى تولى أمر بني عبد مناف قبل هاشم ثم تولاها هاشم فترة ثم تنازل

---

(١) البلاذري: جـ١ ص٥٥.

(٢) قيل أن عبد شمس وهاشماً ولدا معاً وكانت جباهما ملصقة بعضها ببعض فأخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف، فقال بعض العرب، ألافرق ذلك بالدرهم، فإنه لا يزال السيف بينهم فى أولادهم إلى الأبد. المقريزي: التنازع والتخاصم. طبعت ضمن مجموعة رسائل المقريزي بدار الحديث. تحقيق: رمضان البدري القاص ٢٠٠٦ ص٢٤ وأن كنت اعتقد أن هذا ليس له أساس من الصحة.

(٣) ابن سعد: جـ١ ص١٠٦.

(٤) محمد هيكل: المرجع السابق، ص١١٢.

(٥) ابن حبيب: المحبر، ص١٨٦.

(٦) ابن سعد: ج١ ص١٠٦.

(٧) ابن حبيب:المصدر السابق، ص١٨٧

عنها إلى المطلب لأن هاشم كان سفّاراً لا يقيم بمكة لانشغاله بالتجارة لذا فقد آل الأمر للمطلب.

وعلى كل حال لما تطلع بنو عبد مناف إلي ما في يد بني عبد الدار من مناصب انقسمت قريش قسمين، قسم مع بني عبد مناف وهم بنو أسد بن العزي بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة بن كعب وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر[١]، فتحالفوا وسمي حلفهم بالمطيبين[٢].

أما بنو عبد الدار فتحالف معهم بنو مخزوم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدى فسمي حلفهم بالأحلاف ولعقة الدم[٣].

وكادت الحرب تقع بين الطرفين لولا الاتفاق على الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، فكانت من نصيب بني هاشم، أما الحجابة واللواء والندوة فكانت لبني عبد الدار كما كانت، وبقي الفريقان بعيدين عن الحرب لكن كل منهم مع حليفه حتى جاء الإسلام[٤].

ولكن فى تلك الفترة التي كان فيها القرشيون منقسمين لفريقين، حاول بنو بكر انتهاز الفرصة لكي يحققوا بعض المكاسب، وحدثت حادثة

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام ، جـ ١ ص٩٢.

(٢) الزمخشري: المصدر السابق ، جـ ٢ ص٢٦٩.

(٣) الزمخشري: المصدر السابق ، جـ ٢ ص٢٧٠.

(٤) الفاسي: المصدر السابق ، جـ٢ ص٩٣.

قررت فيها قريش بقيادة المطلب ومعه الأحابيش إخراج بني ليث بن بكر بن عبد مناة من تهامة وذلك ما سيتضح في أحداث معركة ذات نكيف.

معركة ذات نكيف:

سميت هذه المعركة الحربية باسم موضع يسمى "ذو نكيف"، وهو من ناحية يلملم[١] من نواحي مكة[٢]، وكانت تسكنها بعض قبائل بني كنانة وهي الآن ميقات الحج لأهل اليمن.

وكانت هذه المعركة بين قريش بقيادة المطلب بن عبد مناف[٣] وقيل بقيادة عبد المطلب بن هاشم[٤]، والصواب المطلب على أرجح الأقوال، ومعها الأحابيش من بني الحارث بن عبد مناة، وبنوا المصطلق من خزاعة والقارة بنو الهون بن خزيمة وهم عضل والديش[٥].

وكان رؤساء الأحابيش يؤمئذ حطمط بن سعد وأبو حارثة والحبيش بن عمرو وكلهم من بني الحارث بن عبد مناة[٦].

---

(١) جبل على ليلتين من مكة من جبال تهامة، ويسمى الآن وادي لملم في وادي السعدية. البكري معجم ما استعجم جـ٤ ص٢٢٥هامش رقم ٣ من نفس الصفحة.

(٢) الحموي: معجم البلدان، جـ ٨ ص٤٠١.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، ص١١٠؛ البلاذري: جـ١ ص٧٦.

(٤) الحموي: المصدر السابق، جـ٨ ص٥٠٤؛ ابن الأثير: السابق جـ١ ص٤٣٩.

(٥) ابن حبيب: المصدر السابق ص١١٥.

(٦) ابن حبيب ص١١٥.

وكانت المعركة بين بني ليث بن بكر بن عبد مناة الذين كان يقودهم بلعاء ابن قيس وأخوته جثامة وحميصة وقتادة بن قيس، وكان سبب هذه الحرب يكمن فى البغضاء التي تكنها بنو بكر لقريش منذ أن أقصاهم قصي من مكة مع خزاعة فحاولوا أن يخرجوا قريش من الحرم[١]، وحدث أن أصاب بني ليث بن بكر أثناء إقامتهم بتهامة سنة، فسارت بنو ليث حتى نزلوا بأسفل تهامة ومما يلي يلملم ويلي اليمن، وكان يقطن بجوارهم فى تلك المنطقة رجلاً يدعى عوافاً القاري وكان حليفاً لهشام بن المغيرة والعاص بن وائل[٢]

وكان هذا القاري لديه ثلاثون ذوداً من الإبل، وكانت بنو ليث تحاول أن تواجه السنة التي أصابتهم بالقيام ببعض الغارات على العرب المجاورين لهم، وفى أحدى الغارات خرج بلعاء بن قيس مع أصحابه وخلف أخاه قتادة ابن قيس على قومه، وفى إحدى الليالي تطلع قتادة إلى إبل جارهم القاري وقرر الإستيلاء عليها، ووافقه فى ذلك رجلان، الأول من قومه ويدعى صدوف الليثي، والآخر من بني زبيد كان جاراً لهم، فى حين حاول عمير ابن عامر بن الملوح ومعبد بن عامر بن الملوح إثناء قتادة على ما هم به وقالوا له أن القاري له قوم يغضبون له ويحوطونه، يقصد بذلك هشام بن المغيرة والعاص بن وائل حلفاء القاري[٣]، كما أن

(١) ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ ١ ص٤٣٩.

(٢) ابن حبيب: ص١١٣.

(٣) الذود أقل من ناقتين وهو ما بين الثلاث إلى العشر. ابن منظور: جـ٣ ص٥٣٤، المقري: ص١٢٩.

القارة التي منها عواف القاري ضمن تشكيل الأحابيش الذين لا يستهان بهم.

فقام قتادة بن قيس وصاحبه تحت أستار الليل بالإغارة على إبل القاري فسطوا عليها وقتلوا ابن عواف القاري وكان شاباً، ثم قسم قتادة عشر إبل قام بنحرها على من فى الحي، أما الباقي فقسمها فى قومه ما بين بعير وبعيرين، وأرسل منها إلى عمير ومعبد بن عامر بن الملوح اللذان حاولا إثنائه عن القيام بفعلته، ولما علم عواف القاري بما حدث ذهب إلى حلفائه هشام بن المغيرة والعاص بن وائل وأعلمهم بما حدث وطلب القصاص لمقتل ابنه من الجناه، إلا أن هشام والعاص انتظرا عودة بلعاء بن قيس من غارته ولما عاد طلبا منه تقديم أخيه قتادة لقتله كما قتل ابن القاري فرفض بلعاء ذلك.

وبرفض بلعاء تقديم أخيه للقصاص اندلعت نيران الحرب فقاد المطلب جيشاً جراراً[1] مقداره ألف من بني عبد مناف والأحابيش، وخرج بلعاء هو الآخر يقود جيشا جراراً أكثر من الجيش الذي فيه الأحابيش والمطلب، ولكن العبرة ليست بكثرة العدد وإنما بالشجاعة والإقدام عند

(١) لم يكن الرجل يسمى جراراً حتى يرأس ألفاً، وقد قاد المطلب بن عبد مناف بني عبد مناف وأحلافها من الأحابيش، كما قاد بلعاء بن قيس بني بكر يوم ذات نكيف، والمشلل. ابن حبيب: المحبر ، ص٢٥٦.

البأس، وهذا ما كان يتميز به الأحابيش خاصة بني الحارث بن عبد مناة الذين كانوا معروفين بالنجدة والشجاعة[١].

وبدأت المعركة بالرمي بالنبل وكانت البداية لصالح القارة الذين كانوا مشهورين بالرمي وضرب بهم المثل فى ذلك فقيل:-

" قد انصف القارة من راماها" [٢].

وظل الفريقان يرميان بالنبل حتى فنيت، فتم سل السيوف، واشتد أتون المعركة وتحمس كل فريق للنصر، فقام المطلب وحطمط أحد رؤساء الأحابيش يومئذ بحث قومهم على القتال، فحطم الأحابيش جفون سيوفهم وأبلوا بلاءً حسناً[٣]، فانهزم بنو ليث بن بكر ولاذوا بالفرار، والأحابيش وقريش فى إثرهم يعملون فيهم السيف قتلا، فلجأ بنو ليث إلى البيت الحرام متعوذين به، فأخرجتهم قريش من الحرم، فقام عبيد بن السفاح القاري وكان من الأحابيش، ومن قوم عواف القاري الذى اعتُدى علي إبله وقتل ابنه، مبارزاً لقتادة بن قيس وطعنه عدة طعنات حتى أن قتادة لم يبق به إلا رمقة واحدة سرعان ما لفظها ومات بعد أن تفرق القوم من حربهم[٤]، وأسفرت هذه الحرب عن إجلاء قريش والأحابيش لبني

---

(١) القالي: الأمالي ، جـ٣ ص٢٤.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ، ص٣٩، ؛ الميداني: المصدر السابق ، جـ٢ ص١٢١.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١١٦.

(٤) ابن حبيب:المصدر السابق ، ص١١٦؛ ابن الأثير: السابق جـ١ ص٤٣٩.

ليث من تهامة، فسار بنو ليث فى بني جعفر، وحالفوا طفيل بن مالك بن جعفر، وظلوا مقيمين فى بني عامر ثلاث سنوات[١].

معركة المشلَل:

بالضم ثم الفتح وفتح اللام أيضاً، والشلّ الطرد وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر[٢] وهو قبل قديد بثلاثة أميال، وهى التي كانت عندها مناة الطاغية فى الجاهلية[٣] ويقال إن بالمشلل ماء غسان[٤].

وقد وقعت عندها معركة عظيمة بين قريش والأحابيش ضد بني ليث فسميت المعركة باسم المكان الذي قامت فيه المعركة.

وسبب معركة المشلل أنه بعد إجلاء قريش والأحابيش لبني ليث عن تهامة بعد هزيمتهم فى ذات نكيف نزل بنو ليث فى بني عامر وحالفوا طفيلاً بن مالك بن جعفر، وظلوا مقيمين معهم ثلاث سنوات، حتى حدث أن اعتدى رجل من بني أبى بكر بن كلاب على بعير لبلعاء بن قيس فسرقه ثم نحره فغرم طفيل مكانه بعيرين حتى لا تقوم حرب مع بني ليث.

وبالرغم من ذلك ظل طفيل متوجس خيفة من أن يقوم بلعاء بالإنتقام، فعزم طفيل على أن يتبرأ من عقد وجوار بلعاء، لكن بعد انقضاء الأشهر

---

(١) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١١٦.

(٢) الحموي: المصدر السابق ، جـ٨ ص٢٧١.

(٣) الحربي: المناسك، تحقيق/عبد الله الوهيبة،مجلةالعرب،الرياض،١٤٢٠هـ ،ص١٦٨

(٤) صالح العلي:الحجاز فى صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط١ ،١٩٩٩م، ص٢٦٦.

الحرم، إلا أن ليلي بنت طفيل أعلمت بلعاء بما عزم عليه أبوها فخطط بلعاء أن ينتظر هو وقومه إلى آخر يوم من الأشهر الحرم، فيقوم النساء والأنعام والأثقال بالتوجه نحو تهامة، وأن يقيم الرجال فى البيوت حتى إذا أمسوا وجنّهم الليل يغيرون على بني جعفر وبني هلال، وبالفعل تم ما خطط إليه بلعاء فقتلوا واستاقوا منهم ما قدروا عليه من النعم ثم انصرفوا راجعين إلى تهامة، وأمر طفيل بعدم ملاحقتهم[١]، وبعد قيام بني ليث بفعلتهم نزلوا بالمشلل، وعلم هشام بن المغيرة والعاص بن وائل، فقررا أن يجمعا قريش والأحابيش ويسيروا[٢] إليهم، ولكن لم يشارك كل الأحابيش فى هذه المعركة حيث غاب عنها بنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق ولم يشترك فيها من الأحابيش غير عضل والديش والقارة، وقبل تحرك قريش كان هناك مسئولية من يحمل اللواء، فحمله العاص بن وائل، وكان بعض القرشيين من بني عبد مناف فيهم عتبة وشيبة أبناء ربيعة والمطلب بن الأسد وأبو حذيفة ابن المغيرة وأبو أميه بن المغيرة ونبيه ومنبه ابنا الحاج رفضوا أن يخرجوا لقتال بني ليث لأنهم أخوالهم، فخافا أن تحدث العرب أنهم ساروا لقتال أخوالهم، ولعل تغيب بني الحارث بن عبد مناة وبني المصطلق والحيا يرجع إلى تغيب حلفائهم بني عبد مناف عنها هم الآخرون.

---

(١) ابن حبيب: المنمق، ص١١٧.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص١١٨.

وعلى كل حال لما قرر العاص بن وائل حمل لواء قريش والأحابيش قال له سعيد بن العاص أتحلف عند إساف أن لا تفر قال: نعم، فأخذه العاص فحمله ثم أتى إلى إساف فحلف عنده ألا يفر أو يموت، وكان سعيد بن العاص يعلم أهمية اللواء فى الجيش حتى أنه قال يومئذ إنما هلاك القوم لواؤهم[١]، ولذا لم يتقدم أحد لحمل اللواء مهابة مما قاله سعيد، حتى تقدم العاص بن وائل وحمله، واندلعت المعركة، والعاص يحث قريش ومن إشترك من الأحابيش على القتال، حتى قام شخص يدعى خالداً بن مالك بالحمل على العاص بن وائل فطعنه وصرع العاص بن وائل وأخذ اللواء من يده فلما رأت قريش اللواء قد أخذ وصرع العاص هربت ومعها الأحابيش منهزمين، ولما علم سعيد بن العاص قال يا للعار لم يحام على العاص بن وائل قومه وهربوا عن اللواء ولم يعودوا إلى حمله، هذا الذي خفت عليكم وأعلمتكم أن الحرب دول وسجال [٢].

---

(١) ابن حبيب:المصدر السابق ، ص١١٩.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص ١١٩. هذا الموقف يذكرنا بما حدث للمشركين يوم أحد فقد انكسرت قريش والأحابيش ووقعت ألوية الجيش وكل من يتقدم لحمله يقتل وظل اللواء صريع حتى تقدمت إحدى نساء الأحابيش ، وتدعى عمرة الحارثية فحملت اللواء ، ولما شاهدته قريش والأحابيش بعد هروبهم عادوا مرة أخرى للمعركة وانتصروا على المسلمين، وقد سجل الصحابي حسان بن ثابت موقف الحارثية ورفعها اللواء، فقال شعراً يشير فيه أنه لولا فعل الحارثية ورفعها اللواء لأسرت قريش والأحابيش وبيعوا فى الأسواق، وهذا الشعر يقول فيه رضي الله عنه:

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون فى الأسواق بيع الجلائب

حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسنين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٨، ص١٧٢.

وبعد ذلك تم الصلح بين قريش وبني ليث بن بكر، حتى أننا نراهم يحاربون مع قريش وبني الديل أحد أعضاء الأحابيش فى يوم شهورة الذي أغاروا فيه على أرض بلي ولخم[١].

موقف الأحابيش من حملة أبرهة الأشرم:-

تعتبر حملة أبرهة الحبشي واحدة من الحملات التي جسدت الأطماع الرومانية فى بلاد العرب بصفة عامة والحجاز بصفة خاصة، وقد سبق التعرض للحملات الرومانية للاستيلاء على بلاد العرب.

وقد عرفت حملة أبرهة فى كتب التاريخ والسير والتفسير بمسميات هي حملة الفيل، أو قصة الفيل نسبة إلي الفيل الذي جلبه الجيش الحبشي معه لهدم الكعبة ويقال أن اسم الفيل محمود[٢]،و جدير بالذكر أن أحد الكتاب إدعى أن المقصود بالفيل هو "أفيلا" قائد حملة أبرهة وليس الفيل المعروف، وعلى ذلك يكون المقصود بأصحاب الفيل هم أصحاب القائد "أفيلا"[٣]، ولا شك أن هذا الإدعاء باطل وغير صحيح خاصة أنه يخالف ما ذكرته مختلف المصادر سواء كانت كتب تاريخ أو تفسير أو غيرهما، كما أن صاحب هذا الإدعاء غير متخصص في التاريخ أو

---

(١) ابن حبيب: السابق ، ص١٣٢.

(٢) ابن هشام: المصدر السابق ،ج ١ ص٤٠.

(٣) مصطفى محمود: رحلة في أرض سبأ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص١٣٦.

السيرة النبوية أو التفسير حتى نأخذ برأيه وعلى كل حال لقد خلّد القرآن هذه الحادثة فى سورة الفيل.

أما الاسم الثاني فهو حملة أبرهة أو حملة الأشرم لهدم الكعبة، والمقصود بها أبرهة بن الصباح (أبراميوس)[١]، أوالأشرم لشق فى حاجب وأنف وعين وشفة أبرهة أثناء نزاله مع أرياط [٢] نائب النجاشي على اليمن، وقيل وقع علية حجر فشرم أنفه[٣].

و أبرهة (أبراميوس) كان حاكماً لليمن بعد قتل أرياط نائب النجاشي على اليمن، ويرجع بداية تولي أبرهة حكم اليمن إلي إضطهاد قد تعرض له أهل نجران النصارى على يد حاكمها اليهودي يوسف ذونواس[٤] الذى أوقع الاضطهاد بنصارى نجران وخدّ لهم ألاخدود وألقاهم فيه كما قص ذلك القرآن الكريم، وهذه الحادثة حقيقية لاشك فيها، وهناك شخص يدعي يوحنا الأفسي، وهو من رجال الدين النصارى دون حوالي عام ٥٨٠ من تأريخه الكنسي وثيقة تتحدث عن تعذيب نصارى نجران وقد وجه هذه الرسالة " مار شمعون " أسقف بيت أرشام المعاصر لهذه الحادثة إلي رئيس دير جبلة يصف فيها ما سمعه، وما قصه عليه شهود

---

(١) الحيمي: المصدر السابق ، ص٧٤.

(٢) ابن هشام:ج١ص٣٤.

(٣) ابن منظور: ج٥ ص٩٧.

(٤) اسمه اسأر يثأر، حكم اليمين بين عامي(٥١٠-٥٢٥م) وهو من العائلة اليزنية،وقيل انه تسمى بيوسف بعد إعتناقة اليهودية. مصطفى محمود: رحلة في أرض سبأ، ص ١٣٣.

عيان من أهل اليمن عن تعذيب نصارى نجران، وما لقوه هناك من أصناف العذاب[١].

وقد وجه شمعون فى نهاية الرسالة نداء إلي الأساقفة خاصة أساقفة الروم والإسكندرية ليعلمهم بهذه الفاجعة، كما طالب بطريق الإسكندرية التوسط لدى نجاشي الحبشة لمساعدة نصارى اليمن كما ناشد أحبار "ضرية" للتأثير على مللك حمير للكف عن اضطهاد النصارى[٢]، وتذكر المصادر الإسلامية أن شخصاً يدعى دوس ذو ثعلبان فر من إضطهاد ذي نواس، ولجأ إلي قيصر الروم يستنصره على ذى نواس وأخبره بما فعل، فقال له قيصر: "بعدت بلادك من بلادنا وأنه لا نقدر أن نرسل إليها الجنود"، فكتب كتاباً إلى النجاشي النصراني يطلب منه نصرة أهل دينه والثأر لقتلاهم، فلما قرأ النجاشي الكتاب أرسل مع ذي ثعلبان سبعين ألفا من الجيش بقيادة أرياط لقتال ذي نواس[٣]، وانتهى الأمر بهزيمة الحميريين وغرق ذي نواس فى البحر[٤].

وهناك عدد من المخطوطات الحبشية فى المتحف البريطاني تتحدث عن هذه الحادثة، بالإضافة إلي موارد إغريقية وحبشية

---

(١) جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام المجمع العلمي العراق ١٩٥٣م ج٣ص١٨٥.

(٢) جواد على: المرجع السابق ، ج٣ص١٨٦.

(٣) الطبري: ج١ ص٤٣٣.

(٤) الهمداني: الإكليل، تحقيق/محمد الأكوع،مكتبة الرشاد ،اليمن ٢٠٠٨ ، ج٨ ص٢٣١

أخرى تقول إن الحبش كانوا موجودين في أرض حمير قبل تعذيب ذو نواس (فنحاس في بعض المخطوطات الحبشية) لنصارى نجران الحميرية بعدة سنوات، وأنهم انتصروا على ذى نواس قبل قيام ذي نواس بتعذيب نصارى حمير بسنين، ولما هزم ذى نواس تقهقر إلى الجبال للإحتماء بها، وإنسحب بعد ذلك، أما الحبش فجردوا جيشاً لحماية النصارى والدفاع عنهم، كما تركوا هناك نائبا للملك، ولكن لما مات نائب الملك وقائد الجيش، انتهز ذو نواس وأتباعه الفرصة فأغاروا على الجيش، وتمكن ذو نواس منهم ثم صب عذابه على يد من وجد في بلاده من النصارى واضطهدهم، وأغار على نجران وحاصرها مدة طويلة بلغت سبعة أشهر[١] قتل خلالها فى الأخدود على قول أحد الروايات ما يقرب من عشرين ألفاً[٢]، وإن كان هذا العدد على ما يبدو مبالغ فيه، خاصة أن بعض الوثائق السريانية تذكر أن عدد شهداء نجران ٤٠٠٠ شهيد على أكثر تقدير[٣].

وهناك سبب أخر يرى البعض أنه هو السبب الحقيقي المباشر لغزو الحبش اليمن، وهو أن الروم كانوا يضطهدون اليهود الذين في أرضهم، فأمر ملك حمير بقتل التجار الروم الموجودين باليمن

(١) جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٣ص١٨٨.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق ، ج٢ص١٧٢.

(٣) اغناطيوس يعقوب: الشهداء الحميريون، دمشق، ١٩٦٦م ، ص١١٨-١١٩.

ونهب أموالهم انتقاما من الروم، فتجنب التجار الروم الذهاب إلي اليمن أو إلي الحبشة أو المناطق القريبة من حمير، فتأثرت التجارة مع الحبشة، ولما تضرر الأحباش إقتصاديا حاول النجاشي التفاهم مع ملك حمير إلا أن ملك حمير رفض عروض النجاشي فوقعت الحرب بينهم[١]، وإنتهى الأمر بغزو الأحباش لليمن وقتل ذو نواس فقيل أنه أقحم فرسه فى البحر فغرق[٢]، إلا أن الروايات الحبشية والإغريقية تقول أنه وقع فى يد الأحباش فقتلوه[٣]، وذلك عام ٥٢٤ م، وبموت ذو نواس وهزيمة الحميريين دخلت اليمن تحت السيطرة الحبشية، وتم تعين رجل نصراني من نجران يدعى اسيميفايوس (Esimiphaeus) ملكاً على اليمن مقابل دفعة جزية سنوية للنجاشي[٤]، إلا أن من تبقى من الجنود الحبش ثاروا عليه وحاصروه فى إحدى القلاع، وعينوا مكانه عبداً نصرانياً يدعي إبراهيم (إبراهام، أبرهة) كان مملوكاً فى مدينة أدوليس Adulis لتاجر يوناني، فأرسل النجاشي قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل لتأديبه وتأديب من إنضم إليه، إلا أن الحملة لما وصلت اليمن انضمت إلى الثوار، وقتلت قائد الحملة، وهو أحد أقرباء النجاشي، فقرر النجاشي إرسال حملة أخرى، لكنها لم تتمكن من قمع الثوار،

(١) جواد على : المرجع السابق ، ج٣ص١٨٩.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ، ص٣٥٢ ؛ الهمداني: المصدر السابق ، ج٨ص٢٣١

(٣) جواد على: المرجع السابق ج٣ص١٩١.

(٤) جواد على: المرجع السابق ،ج٣ ص١٩١

عندئذ قرر النجاشي مصالحة أبراهام (أبرهة)، وأقره على حكم اليمن مقابل دفع جزية سنوية للنجاشي على أن يعترف بأنه نائب عن الملك على اليمن[١].

أما الروايات الإسلامية فتذكر أنه بعد هزيمة الحميريين وقتل ذي نواس ثم تعيين أرياط حاكما على اليمن إلا أنه حدث نزاع بينه وبين إبراهام (أبرهة) أحد قواد الجيش الحبشي الذين شاركوا فى حملة الحبشة على اليمن، فانقسم الأحباش فرقتين، فرقة تناصر أرياط وفرقة تناصر أبرهة، فحدث فى عام ٥٣١ ميلادية أن نشبت الحرب بينهما فقررا أن يتبارزا هم الاثنان، ولا يقحما أتباعهم فى الحرب، ومن يقتل صاحبه فهو أحق بالأمر، وتبارز الاثنان وكانت الغلبة لأرياط وإستطاع أن يضرب أبرهة بحربته على يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته[٢]، وكان يقف وراء أرياط شخص يدعي "عتودة "من أنصار أبرهة فحمل على أرياط فقتله، فانصرف جند أرياط إلى أبرهة فأصبح أبرهة الحاكم الوحيد للاحباش باليمن[٣].

---

(١) جواد على: المرجع السابق ،ج٣ ص١٩٢

(٢) ابن هشام: ج١ ص٣٤ ؛ الحيمي: سيرة الحبشة ، ص٦٤.

(٣) ابن هشام: ج١ ص٣٤.

ورفض أبرهة دفع الجزية للنجاشي الذى قيل إن اسمه "بيتا إسرائيل" والذي اعترف بسيطرة أبرهة على اليمن[١]، وعلى حسب الروايات الإسلامية أن ذلك تم بعد أن أرضي أبرهة النجاشي، وأرسل إليه بعض شعر رأسه وجفنة من رمال اليمن ليوفي النجاشي بنذره الذى نذره بجز ناصية أبرهة ووطء اليمن بقدمه[٢].

وبعد ذلك أخذ أبرهة على العمل على تقوية نفوذه السياسي والإقتصادي والديني خارج نطاق دولته، وكانت حملته على مكة أحد هذه المحاولات لتوسيع نفوذه السياسي والاقتصادي والديني، ولن تتوسع الدراسة فى ذكر تفاصيل حملة أبرهة على مكة بل ستقتصر على ذكر الأسباب التى دفعته للقيام بحملته هذه، وموقف الأحابيش من هذه الحملة ثم ذكر نهاية هذه الحملة وعرض أراء البعض فى حقيقة هذه الحادثة.

أما عن سبب حملة أبرهة لهدم الكعبة، فهناك عدة أسباب وليس سبباً واحداً كما يعتقد ويظن كثير من الناس، وهذه الأسباب تتمثل فى:-

١- بعد أن استولى أبرهة على حكم اليمن منفرداً وصالح النجاشي بنى كنيسة عظيمة تسمى القليس فأرسل إلى النجاشي

---

(١) الحيمي: سيرة الحبشة ، ص٦٤

(٢) الطبري: ج١ ص ٤٣٥.

يقول له: "إني بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنتهٍ حتى أصرف إليها حاج العرب"[١]، فلما سمع العرب بذلك أرسل القلمس رجلان من النسأة من بني كنانة[٢] فامرهما أن يذهبا إلى ذلك البيت الذى بناه أبرهة بصنعاء فيحدثا فيه[٣]، وقيل أن رجلاً من النسأة قد سمع مقولة أبرهة بهمه صرف الحج إلى القليس فقال أنا أكفيكم ذلك ثم سار ذلك الرجل حتي ورد على أبرهة، فقال إني وافد قومي إليك على أن يحجوا لهذه البيعة، فسر ذلك أبرهة وأكرم الكناني واستغل الكنانى إنشغال الحبش بعيد لهم بملاعبهم وشربهم، فأقبل إلي القليس وأحدث فيها[٤]، وفي رواية ابن إسحاق خرى فيها[٥]، ورواية أخرى قعد فيها[٦]، والمعاني كلها صحيحة، ثم قام الكنانى بتلطيخ كل زاوية بالكنيسة ولوثها ثم كرّ راجعاً إلى مكة، فلما دخل أبرهة كنيسته وجدها على ذلك الحال، ولما لم يجد أحد علم أن الكنانى

(١) الطبري: ج١ص٤٣٧ ، عزالدين الرسعني: رموز الكنوز ، تحقيق /عبد الملك ابن دهيش ، مكتبة الأسدي ، مكة ٢٠٠٨، ج٨ ص٧٣٢.

(٢) فى رواية ابن إسحاق أن الذى ذهب إلى الكنيسة رجلا من الحمس من بنى ملكان بن كنانة. سيرة ابن إسحاق: ص٣٨ والصواب ـ والله أعلم ـ من النسأة.

(٣) الأزرقى: ج١ ص١٦٤.

(٤) الصحارى: الأنساب ، ص١٣٩.

(٥) ابن إسحاق: ص٣٨.

(٦) ابن هشام: ج١ ص٣٦ ؛ ابن كثير: ج٢ ص١٧٤.

صاحب ذلك[١]، وقيل أنه أخبر أن الذى فعل ذلك رجلا من العرب، من أهل البيت الذى يحج العرب إلية بمكة لما سمع قولك أصرف إليها حج العرب[٢] عندئذ قرر أبرهة السير لهدم الكعبة وجهز الجيش لذلك، ويقال أنه أرسل إلى النجاشى يخبره بما حدث وطلب منه أن يمده بجيش فأمده بجيش عظيم[٣] بلغ فى تقدير بعض العلماء أكثر من مائة ألف[٤]، وهو عدد لاشك مبالغ فيه جداً، ثم سار أبرهة فى طريقه لهدم الكعبة.

٢- هناك سبب أخر يقول أن فئة من قريش تجارا كانوا بالحبشة وكانوا أقاموا على ساحل البحر بالقرب من بيعة للنصارى هناك يسمونها الهيكل، وقد قام هؤلاء التجار بإشعال نار لشوي الطعام فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف، فهاجت ريح فاضطرم الهيكل ناراً، فانطلق الصريخ إلى النجاشي فثار غضباً لحرق البيعة، فبعث إلى أبرهة يأمره يهدم الكعبة[٥].

---

(١) الصحاري: السابق ، ص١٣٩.

(٢) ابن هشام: ج١ ص٣٦.

(٣) الصحاري: ص١٣٩.

(١٠) البغوى: معالم التزيل ، تحقيق /محمد النمر ، دار طيبة ، الرياض ١٤١٢ هـ، ج٨ ص٥٣٩ ، الغازي المكي: إفادة الأنام ،تحقيق /عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي مكة ١٤٣٠هـ ،ج١ص١٩٣.

(٥) اللقاني: تبيين عدة من تسمى بمحمد ، مخطوط ورقة ٢أ.

٣- هناك سبب أخر يقول إن أبرهة بعد إن بنى القليس كان قد توج شخصاً يدعي محمد بن خُزَاعي، وهو أحد الذين تسموا باسم فى الجاهلية[١]، وقد أمّرَه على مضر وأمره بأن يسير إلي الناس يدعوهم إلي الحج فى القليس، فلما وصل محمد خزاعي إلي نهاية من أرض بني كناية بعثوا إليه رجلاً من هذيل يدعى عروة بن حياض الملاصي فرماه بسهم فقتلة، وكان مع محمد بن خزاعي أخ يدعى قيس، فهرب حين قتل أخوه فلحق بأبرهة فأخبره بقتله، فاغتاط أبرهة وحلف ليغزو بني كنانة وليهدم البيت ولا شك إن صح هذا الخبر فإن سبب غيظ أبرهة ليس قتل محمد خزاعي فقط بل لأن العرب قد تحدوه ورفضوا ما عزم عليه وقتلوا نائبه.

٤- وهناك سبب آخر لحملة أبرهة يقول أن ابن بنت أبرهة يدعى أكشوم خرج حاجاً، فلما انصرف من مكة نزل بكنيسه بنجران فعدا عليها أناس من أهل مكة فأخذوا ما فيها من الحلي، وأخذوا متاع أكشوم، فانصرف إلي جده الحبشي مغضبا، فلما ذكر له ما لقي بمكة من أهلها أقسم أبرهة أن يهدم البيت[٢]، وقد اعترض د/جواد علي على هذا السبب قائلاً أن هذا غير معقول لآن أكشوم رجل نصراني، والنصراني لا يحج إلى مكة التى تعتبر

(١) الطبري: ج١ ص٤٣٧.

(٢) أبو نعيم الأصفهاني: دلائل النبوة ، دار المعرفة بيروت ١٩٧٧م ، ص١٠١

لحجة الوثنيين[١]، كما أن الكنيسة التى أسسها أبرهة خاصة بالنصارى، والغالبية من العرب خاصة المكيين وثنيين فكيف يحجون إلى القليس الخاصة بالنصارى وهم وثنيون، كما أن حج أكشوم إلي مكة مستبعد لأنه نصراني على دين جده[٢]، وهناك سبب أخر يرد هذه الرواية وهو أن أبرهة لما بلغه ما حدث لحفيده وكنيسة نجران أرسل جيشاً بقيادة رجلاً من أصحابة يدعي شمر بن مضعود[٣] وهذا يخالف الرأي القائل بأن الذى سار لهدم الكعبة هو أبرهة نفسه[٤].

٥- وهناك سبباً أخر يرى أن التجارة هى التي دفعت أبرهة للقيام بحملته هذه، فقد كانت الحبشة مصدرا مهماً لتجارة البخور وريش النعام والعاج والجلود والتوابل، فكانت قريش تحصل منها على هذه السلع الهامة ليبيعها فى الأسواق، وفى المقابل كانت قريش تحمل إلى الحبشة بضائع من الجزيرة العربية، ولكن لما إستولى الأحباش على اليمن لم تستطع اليمن أن تقوم بدور كبير فى التجارة التي استأثر التجار المكيون بنقلها عندما أصبحوا الوسطاء المسيطرين على قوافل التجارة الخارجية، وقد فكر حاكم اليمن الحبشي أبرهة أن ينافس مكة فأقام كنيسة القليس بصنعاء

(١) جواد علي: المفصل ،ج٣ ص٥١١.

(٢) جواد علي: المرجع السابق ، ج٣ ص ٥١١.

(٣) أبو نعيم: دلائل النبوة ، ص١٠١.

(٤) ابن إسحاق: السابق ، ص٣٨.

ليجلب إليها العرب للحج والتجارة في اليمن[١] وليس هناك تعارض بين ذلك السبب والسبب القائل أن أبرهة قرر هدم الكعبة لصرف الناس إلى الحج بالقليس لأن أبرهة قام بشن حملته لتدمير البيت وإجبار الناس على الحج والمتاجرة في الأسواق تحت نفوذه وضم أسواق مكة وإيصال الحبشة بحليفتها بيزنطة بواسطة الطريق البري التي كانت تسيطر على بلاد الشام والتي كانت وراء كل التحركات الحبشية في بلاد اليمن[٢] ولا يخفى علينا طلب قيصر من النجاشي أن يغزو اليمن بحجة تعذيب نصارى نجران، ومن الممكن القول أن طلب قيصر هذا كان تمهيدا لخطوة تالية بل خطوات لضم بلاد العرب مدينة تلو الأخرى، كيف لا والرومان والبيزنطية فشلوا مرارا في الإستيلاء على بلاد العرب كما سبق توضيح ذلك، وهناك مصادر تقول أن هرقل قدهم بغزو من اليمن في إطار أحداث تعذيب نصارى نجران إلا أنه لم يلجا إلى طلب ذلك من النجاشي إلا بعد أن نصحه بطارقته بذلك[٣]، كما أن هناك مصدراً أخر يقول أن قيصر قد أرسل رسولاً إلى هاشم بن عبد مناف ليتزوج من ابنته إلا أن هاشم أبى[٤].

---

(١) زنوبة نادي مرسي: نشاط مكة التجاري قبل الإسلام ، ندرة اتحاد المؤرخين ٢٠٠٠م ، ص٧٨.

(٢) الطاهر ذراع: علاقة مكة التجارية بالبلاد المجاورة ،ندوة اتحاد والمؤرخين ٢٠٠٠م ، ص٢٧٥.

(٣) ابن إسحاق: المصدر السابق ، ص٣٥.

(٤) الشامي: المصدر السابق ، ج١ص ٣١٩.

وفى النهاية يمكن القول أنه لا مانع من اجتماع الأسباب السابق ذكرها لأن تكون حافزا لأبرهة لهدم الكعبة لتحقيق مكاسب دينية وإقتصادية وسياسية، وليس ببعيد علينا الأسباب السياسية والإقتصادية والدينية التي دفعت نصارى أوروبا فى العصور الوسطي بالقيام بحملتهم البربرية على المشرق الإسلامي وهو ما عرف فى التاريخ باسم الحملات الصليبية، حيث تضافرت هذه الأسباب معا ولأجلها قام الصليبيون بحملتهم.

بعد أن قام أبرهة بتجهيز نفسه وجيشه خرج على رأس جيشه مصطحبا معه فيله محموداً، وقيل كان معه اثنا عشر فيلاً غيره[١] أى يكون عدد الفيلة ثلاثة عشر فيلا بما فيهم محمود، وقيل كانوا ثمانية عشر، وقيل كان معه ألف فيل[٢].

و من الراجح أن الصواب فى عدد الفيله التي كانت مع أبرهة هو فيلا واحداً لا غير لأن الفيل محمود لما برك مكانه[٣] ولم يتوجه إلى هدم الكعبة أخذوا يضربونه ويضعوا فى رأسه الطبرزين ويدخلون المحاجن فى جسمه فجرحوه دون حراك، وإذا وجهوه

(١) الفاسي: شفاء الغرام ، ج١ ص٢٥٢.

(٢) الفاسي: المصدر السابق ، ج١ص٢٥٢.

(٣) يقال أن الفيل لا يبرك كما يبرك الجمل ، وإنما الفيل سقط إلى الأرض ولم يبرك ، ويقال أن هناك نوعا من الفيلة يبرك كما يبرك الجمال فمن المحتمل أن يكون هذا الفيل من النوع الذى يبرك ، ابن كثير: ج٢ ص١٧٦.

إلى أى جهة غير مكة جرى وإذا وجهوه للكعبة ظل مكانه وبرك[١] فلو كان هناك فيله غير محمود لاستعانوا به عندما فشلو فى توجيه الفيل محمود لهدم الكعبة، فلو قال قائل أن هذا الفيل هو كبيرهم، لحاول على الأقل الجيش أن يستخدم أى فيل أخر بعد فشل محاولاتهم مع الفيل محمود، ولم يقل أى شخص أنهم استعانوا بأي فيل أخر لهدم الكعبة، كما أن سورة الفيل التي سجلت هذه القصة اسمها الفيل وليست الفيله، ويروى أن السيدة عائشة ـرضي الله عنهاـ ذكرت أنها رأت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس[٢].

وعلى كل حال بعد أن عد أبرهة العدة وهو في طريقه لمكة واجهته قوة من اليمن بقيادة شخص يدعى ذو نفر، وكان صديقاً لعبد المطلب إلا أن أبرهة هزمه وأخذه أسيرا[٣]، وأصطحبه معه إلى المغمس فى طريقه إلي مكة، وكما سبق القول لن نخوض فى تفاصيل سير أبرهة حتى وصوله إلي القرب من مكة، ولكن ما يهمنا هنا هو الخبر الذى يقول أن أبرهة لما نزل المغمس بعث رجلاً يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلي مكة، فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم منهم مائتا بعير

(١) ابن هشام: ج١ ص٤٠.

(٢) ابن هشام: ج١ص٤٣ ؛ الازرقي: ج١ص١٧١.

(٣) الهمذانى: ج١٠ ص٣٤.

لعبدالمطلب[١] ومن المعلوم أنه كان يسكن تهامة قبائل خزاعة وكنانة خاصة البطون والعشائر التي تنتمي إلى الأحابيش والتي إستولى عليها جنود أبرهة على أموال لخزاعه والأحابيش[٢]، ولما حدث ذلك ذهب عبد المطلب إلي أبرهة لرد بعيره، ويقال أنه ذهب إلى أبرهة يعمر بن نفاثة الديلي سيد بني كنانة وهو من الأحابيش، ومعه سيد هذيل خويلد بن واثله الهذلي[٣]، وقد عرضا على أبرهة أن يرجع عن هدم الكعبة فى مقابل أن يعطياه ثلث أموال أهل تهامة، إلا أن أبرهة رفض[٤]، وأمر برد أموال عبد المطلب، لكن من الملاحظ أن عبد المطلب لم يحاول أن يثني أبرهة عن فعلته التي ينوي القيام بها، وقال لأبرهة عندما ذهب ليطالبه برد إبله "إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه"[٥]، وقد علل البعض عدم محاولة عبد المطلب بمحاربة أبرهة أن عبد المطلب كان يوقن من قرارة نفسه أن قريشا قبيلة تجارة لا قبيلة حرب فأمر قريشاً باللجوء إلى شعاب مكة، كما كان يدرك أن حرارة الصحراء ومصاعب الانتقال من اليمن إلى مكة كفيلان بهزيمة الأحباش[٦] كما أن عبد المطلب شن على أبرهة حربا

(١) ابن هشام: ج١ ص٣٨.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق ،ص١٥٦.

(٣) الأزرقي: ج١ ص١٦٧.

(٤) ابن هشام: ج١ ص٣٩.

(٥) المصدر السابق ، ج١ ص٣٩.

(٦) خليل عبد الكريم: قريش من القبيلة إلي الدولة المركزية ، ص٨٥.

نفسية عندما قال لأبرهة أن للبيت ربا يحميه، ويبدو أن هذه الكلمة أثارت أبرهة حتى أنه قال لعبد المطلب بعد أن أعلمه أن للبيت رباً سيمنعه "ما كان يمتنع مني"[١] وهناك مصادر تقول أن الأحابيش قد هموا بقتال أبرهة وجنوده، ولا يستبعد ذلك خاصة أن أبرهة قد استولى على أموال لهم بالإضافة إلي قبضه على شخص يدعى كلثوم بن عميس من بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، فأخذه الأشرم وكبله عنده[٢]، وبني عامر هؤلاء أخوة بني الحارث وبني الديل الأحابيش الذين حاربوا فى صفوف الأحابيش بعد فتح مكة أثناء مواجهتهم لخالد بن الوليد رضي الله عنه، ولكن طلب عبد المطلب من قريش أن يلجئوا إلى شعاب مكة بعيدا عن البيت وهجمات الجيش القادمة، ومفاوضته لأبرهة ليرد عليه أمواله التي أخذها جنوده ولم يطلب من قريش الاستعداد للحرب، كل ذلك أثر فى عزم الأحابيش وعلموا أنهم لا طاقة لهم بجيش أبرهة وحدهم.

وعلى كل حال لما رفض أبرهة عرض سيد الأحابيش يعمر النفاثي وسيد هذيل خويلد بن واثلة بأن يعطياه ثلث أموال تهامة مقابل عدم هدم البيت[٣]، تقدم بكل غرور لتنفيذ مشروعه إلا أن

(١) ابن هشام: ج١ ص٣٩.

(٢) ابن حبيب: المنمق ، ص٧١.

(٣) ابن هشام: ج١ص٣٩.

الله سلّط عليهم الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول، وقد اختلف العلماء فى وصف هذه الحجارة، ولكن يكفينا قول الصحابي نوفل بن معاوية الديلي وهو من سادات بني الدئل الذين كانوا المكونين الأساسيين للأحابيش، وقد عاش رضي الله عنه مائه وعشرين سنة، ستين فى الجاهلية وستين فى الإسلام[١]: "رأيت الحصاة التي رمى بها أصحاب الفيل، حصى مثل الحمص وأكبر من العدس حمر مختمة"[٢]، ومن المحتمل أن هذا الختم يكون هو أسماء من تناله هذه الحجارة، ولم تصب الحجارة كل جيش أبرهة بل جزء من الجيش فمن تطوله الحجارة كانت تدخل من رأسه وتخرج من دبره[٣]، وهناك أدلة تدعم القول بأن جيش أبرهة لم يصاب كله بالحجارة فهاهما قائد الفيل وسائسه ظلا على قيد الحياة حتى رأتهم السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ كما أن أبرهة لم يكن من الذين ماتوا فى مكة، كما استعمل سيف بن ذى يزن الحميرى بعض هؤلاء الجيش لخدمته بعد أن إستولى على اليمن ويقال إن باقي الجنود الذين لم تضربهم الحجارة هاموا على وجوههم بحثا عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن[٤]، وقد أخذت بعض القبائل تأسر

(١) ابن الضياء: المصدر السابق ، ص٩٤.

(٢) أبو نعيم: المصدر السابق ، ص١٠٧.

(٣) أبو نعيم: المصدر السابق ، ص١٠٧.

(٤) ابن كثير: ج٢ ص١٧٦

وتقتل فيهم، وكان أبرهة قد أسر بعض أبناء القبائل من كنانة وهذيل أثناء حملته، ففي أثناء عودته استبدل هؤلاء بالأسرى الذين قبض عليهم الهذليين، ويقال إن هؤلاء الأسرى كانوا من كندة وحمير والحبش[١] كانوا في جيش أبرهة، وقد يطعن البعض في هذا الأمر لأنه من الشائع أن أبرهة سار في طريقه إلي اليمن وأنامله تتساقط أنملة أنملة حتى وصل إلي بلاده فانصدع صدره عن قلبه[٢]، فتكون وفاة أبرهة ببلاده آية من آيات الله، تبين قدرة الله عز وجل في انتقامه من الذين يتحدون قدرة الله، ولا يخفى علينا إغراق الله لفرعون لما تجبر في الأرض كأبرهة ومن على شاكلتهم وتنجية الله لبدن فرعون ليكون لمن خلفه آية، قال تعالى: (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية)[٣] فبإصابة أبرهة بالمرض بمكة، وموته ميتة شنيعة ببلاده لدليل على قدرة الله عز وجل في الانتقام من كل متجبر

وعلى كل حال يمكن القول أنه لا تعارض بين الخبرين لأن أبرهة قد أصابه المرض ويحتمل أنه الطاعون، فهناك فتره بين الإصابة بالمرض وظهور أعراضه، فعندما همّ بالفرار كانت حالته لم تسء كثيراً وفي أثناء تلك الفترة يكون إستبدال الأسرى من

---

(١) أبي سعيد السكري: شرح أشعار الهذلين ، تحقيق / عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ،د.ت ، ج١ص٣٨٩

(٢) ابن كثير: ج٢ ص١٧٧.

(٣) سورة يونس: ٩٢.

الطرفين، وكان الذي فاوض أبرهة صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن هذيل فافتدى الأسرى الذين عندهم بأسراء بني كنانة الذين أسرهم أبرهة من أهل نجد حين أقبل يريد الحرم[١].

ثم أخذ المرض يشتد بأبرهة ويضعف من مقاومته خاصة أنه كان كبيراً في السن لا يقل عمره على أقل تقدير عن ستين أو سبعين سنه، فما لبث أن توفى ببلاده.

وهكذا فشلت حملة أبرهة، وفيها يتبين أن الأحابيش لم يكونوا بعيدين عن مجريات هذه الأحداث، بل حاولوا مفاوضة أبرهة للجلاء عن بلدهم مرة بالسلم، ومرة بأن يحاربوه، وقد يكون الذى منعهم من المحاربة بالفعل هو إحجام عبد المطلب عن القتال، بالإضافة إلي أنهم كانوا فى الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال، وكان قدوم أبرهة فى شهر المحرم[٢].

(١) أبي سعيد السكري: شرح أشعار الهذليين ، ج١ ص٣٨٩.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ، ج٢ ص٨٧.

النسئ والقتال في الأشهر الحرم: -

إنه لمن الضروري التعرض لنظام النسيء الذي كان موجوداً قبل الإسلام، والذي كان العرب يخضعونه لخدمة حروبهم، فكانوا يحلون ويحرمون شهوراً بغرض حماية حروبهم، ومن تلك الحروب حرب الفجار التي سميت بذلك لأنها قامت فى الأشهر الحرم التي كانت تمتنع فيها قبائل الجزيرة العربية عن الغزو والسلب[١] وكذلك الفجور الذي أحدثه العرب فى حروبهم فى تلك الشهور من قتل وترويع الآمنين القاصدين بيت الله الحرام.

والنسيء: بمعنى التأخير، ويكون فى العمر والدين، وقوله ينسأ أي يؤخر ومنه الحديث: صلة الرحم مثراة فى المال منسأة فى الأثر[٢].

ويقال: نسأت الشيء نسأ ، وأنسأته أنساء إذا أخرته[٣] وهو ما كان يفعله العرب من تأخير لشهورهم.

والنسيء: شهر كانت العرب تؤخره فى الجاهلية، فنهى الله عز وجل عنه واعتبره كفر، وذلك في قوله عز وجل "إنما النسيء زيادة فى الكفر".

---

(١) إميل درمنغم: حياة محمد، ص٣٥.

(٢) ابن منظور: المصدر السابق ، جـ٨ ص٥٢٨.

(٣) ابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث: تحقيق محمد الطناحي،المكتبة الإسلامية، جـ٥ ص٤٥.

والنسيء: المصدر، ويكون المنسوء، مثل قتيل ومقتول، والنسيء فعل بمعني مفعول من قولك نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته، ثم يحول منسوء إلى نسيء كما يحول مقتول إلى قتيل[١].

والناسيء: الرجل المؤخر الأمور غير المقدم، وكذلك النساء[٢]، ورجل ناسيء وقوم نسأة مثل فاسق وفسقة[٣].

هذا هو التعريف اللغوي للنسيء، أما عن بداية ظهور النسيء فى التاريخ فإن المصريين القدماء أقدم من عرف نظام النسيء واخترعوه لكي يعرضوا فرق اليوم فى التقويم، وعملوا لها أسطورة وهي أن الآلهة الخمسة الأساسية ـ كما في إعتقادهم ـ (إيزيس وأوزوريس وست ونفتيس وحورس) ولدوا خارج أيام السنة أي فى خمس أيام نسيء فى السنة المصرية القديمة ويسمونه باسم الشهر الصغير، إلا أن نظام النسيء عند الفراعنة كان لخدمة الزراعة القائمة على مياه الفيضان.

أما العرب فقد عرفوا النسيء أو الكبس من اليهود المجاورين لهم[٤]،ولا يستبعد أن يكون اليهود أو العبرانيين قد أخذوا نظام النسيء أو الكبس من المصريين ومنه نقلوه إلى العرب فى شبه الجزيرة العربية، وكان النسيء عند اليهود يختلف فى سببه عن النسيء عند العرب، فإن

(١) ابن منظور: المصدر السابق ، جـ٨ ص٢٨.

(٢) الخليل بن أحمد: العين: تحقيق د/ مهدي المخزومي، جـ٧ ص٣٠٦.

(٣) ابن منظور: المصدر السابق ، جـ٨ ص٥٢٨.

(٤) جواد على: المرجع السابق ، جـ٨ ص٤٩٠.

مقدار السنة عند العرب والعبرانيين (اليهود)، وكذلك اليونانيين اثناعشر شهراً قمرية إلا أن اليهود كانوا يزيدون فى كل ثلاث سنين من سنيهم شهراً فتكون الثالثة من سنيهم أبداً ثلاثة عشراً شهرا قمرية يسمونها الكبيسة[١]، وكانوا يسمون هذا الشهر (فيادار) أو آذار الثاني، وبهذه الطريقة جعلوا السنة القمرية مساوية للسنة الشمسية[٢]، وربما كانت زيادتهم لهذا الشهر فى مدة سنتين لأنهم يفعلون ذلك فى كل تسعة عشرة سنة تسع مرات، ويرى الباحث أن سبب النسيء عند العبرانيين إنما الغرض منه هو حفاظهم على ثبات الأزمنة فتبقى غير منتقلة عن أوقاتها من الفصول الأربعة[٣].

أما العرب فكان عندهم شهور السنة اثنا عشر شهراً وكانوا كل ثلاث سنين يزيدون شهراً وكانوا يسمون ذلك الشهر النسيء وكانت سنة النسيء ثلاث عشر شهراً قمرية، وكانت شهورهم حينئذ غير دائرة فى الأزمنة، كان لكل شهر منها زمن معلوم لا يعدوه، فهذا كان فعل الجاهلية[٤]، وكان السبب الذي لجأ إليه العرب للعمل بالنسيء هو اختلاف الزمان والمواقيت والفرق بين السنة الشمسية والقمرية[٥]، والقيام بغاراتهم فى الأشهر الحرم، فقد كان العرب يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم

---

(١) ابن الجدابي: الأزمنة والأنواء،تحقيق/عزة حسن،المغرب، ط٢،٢٠٠٦م ،ص٤٣.

(٢) جواد على: السابق ،جـ٨ ص٤٩٢.

(٣) ابن الجدابي:الأزمنة والأنواء، ص٤٣

(٤) ابن الجدانبي: السابق، ص٤٣.

(٥) المسعودي: التنبيه والإشراف ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩٣م، ص٢١٧.

لا يغيرون فيها ولا يغزون، خاصة أن معاش كثير من القبائل والعشائر كانت قائمة على الغارات والغزو ونهب الحجيج كما كان يفعل بني غفار رهط الصحابي أبى ذر الغفاري – رضي الله عنه – لذا نرى أن العرب فعلوا النسيء لإحلال ذمتهم من حرمة محرم ولتجويز القتال فيه[١].

ويقال أن الأشهر الحرم فى الجاهلية كانت تختلف عن الأشهر الحرم فى الإسلام ففي الجاهلية كانت الأشهر الحرم عشرون من ذي الحَجة ثم المحرم ثم صفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر، وفى الإسلام هي ذو القعدة وذوا الحجة والمحرم ورجب[٢].

وكانت العرب تعظم رجباً وتسميه فضل الأسنة، وفضل الآل لأنهم كانوا ينزعون الأسنة من الحراب والرماح توطيناً للنفوس على الكف عن المحظور فى مذهبهم، وكانوا يسمونه أيضاً شهر الله الأصم لأنه كان لا يسمع فيه تداعي القبائل ولا قعقعة السلاح[٣]، ولم يكن الأنساء كل عام، بل كان يتم الإنساء سنة، ويترك سنة ليحلوا الشهور المحرمة ويحرموا الشهور التي ليست محرمة، وكان ذلك من فعل إبليس ألقاه على ألسنتهم فرأوه حسناً[٤]، وقد كان هناك نوعان من النسيء عند العرب:-

---

(١) جواد على: السابق ،جـ٨ ص٤٨٩.

(٢) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، تحقيق/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص٦٨.

(٣) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ص٦٨.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام ، جـ٢ ص٤٩.

الأول: تأخير شهر المحرم إلى صفر، وذلك لحاجتهم إلى شهر الغارات وطلب الثارات[١].

والثاني: تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية[٢].

فقد كان الحج يكون فى رمضان وفى ذي القعدة وفى كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة خمسة عشر يوماً، فحج أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – فى ذي القعدة بحكم الإستدارة، ولم يحج النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان فى العام المقبل وافق الحج ذا الحجة فى العشر، ووافق ذلك الأهلة[٣].

أما عن تاريخ معرفة العرب للنسيء، فيقول د/ جواد علي: أنها كانت قبل الهجرة بمئتي سنة أخذوها عن اليهود المجاورين لهم[٤].

وإن كان الأمر أبعد من ذلك، يسبق فترة ولاية قصي على البيت ومكة فعندما تولى قصي أمر مكة وقام بتنظيم أمورها أقر بني مالك بن كنانة على ما كانوا عليه[٥]، وكانت ولاية قصي تقريباً عام ٤٤٠ ميلادية، أما عن الذين كانوا يتولون النسيء من العرب، فقيل أول من نسأ الشهور هو

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ٢ ص٥٠.

(٢) الفاسي: المصدر السابق ، جـ٢ ص٥٠.

(٣) جواد على: المرجع السابق جـ٨ ص٤٩٣.

(٤) جواد على: المرجع السابق جـ٨ ص٤٩٠.

(٥) حسين مؤنس: المرجع السابق ص١٠٨.

حذيفة بن عبد بن فقيم[١] بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة[٢] وقيل فى كنده، وهى قبيلة ترجع فى نسبها إلى كهلان بن سبأ، وأسسوا لهم حكم خاص بهم كان أولهم حجر بن الحارث الذي ولاه حسان بن تبع على العدنانيين[٣]، وقيل كانت أول من أنسأ الشهور بن مضر هو مالك بن كنانة، وذلك أن مالك بن كنانة نكح إلى معاوية بن ثور الكندي، وهو يومئذ فى كندة، وكانت النسأة قبل ذلك فى كندةٍ لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر، ثم نسأ ثعلبة بن مالك ثم نسأ بعده الحارث بن مالك بن كنانة وهو القلمس، ثم نسأ بعد القلمس ابنه مرة بن القلمس ثم كانت النسأة فى بني فقيم من بني ثعلبة حتى كان أخرهم فى الإسلام أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم، وهو الذى جاء فى زمن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى الركن الأسود، فلما رأى الناس يزدحمون عليه قال: "أيها الناس أنا له جار فأخروا" ؛ فخفقه عمر – رضي الله عنه- بالدرة ثم قال أيها الجلف الجافي قد أذهب الله تعالى عزك بالإسلام[٤]، قيل أنه نسأ الشهور أربعين سنة[٥].

---

(١) العسكري: الأوائل، ص٣٦.

(٢) ابن حبيب: المحبر ، ص١٧٥. وفى المتن فهم بدل فقيم وهو خطأ والصحيح فقيم.

(٣) ابن العربي الجزائري: محادثة أهل الأدب،مطبعة حجازي،القاهرة،١٩٥١م ص٥١

(٤) الأزرقي: السابق جـ١ ص؛ الفاسي: تحفة الكرام ، مخطوط ورقة ١٨٤ب؛ الفاسي: شفاء الغرام، جـ٢ ص٤٨.

(٥) ابن الكلبي: جمهرة النسب ص١٦٤؛ البلاذري: جـ١١ ص١٤١.

وقيل أن أول من نسأ الشهور من بني فقيم هو قلع بن حذيفة بن عبد بن فقيم ، فقد نسأ أربع سنين[١]، وقيل سبع سنين[٢]، ثم نسأ بعده أميه بن عوف بن قلع إحدى عشرة سنة[٣]، وقيل أول من نسأ هو عمرو بن لحي الخزاعي[٤]، وقيل بل شخص يدعى نعيم بن ثعلبة[٥] لكن السهيلي يقول أن هذا غير معروف[٦]، وقيل أول من أنسأ عدى بن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة[٧]، ومن المحتمل أن يكون أول من أنسأ الشهور من العرب هو حذيفة بن عبد بن فقيم وهو الذى تلقب بلقب القلمس، وأصبح من يتولى الأنساء يدعون بالقلامسة، والقلامس، واحدهم قلمس، وهو الرئيس المعظم[٨]، وقد تولى القلمسة بعد حذيفة ابنه قلع ابن حذيفة ثم عباد بن قلع ثم قلع بن عباد بن قلع ثم أميه بن قلع ثم عوف بن أميه ثم جنادة بن أميه بن عوف بن قلع[٩] الذى

(١) ابن الكلبي: السابق ، ص١٤٦.

(٢) البلاذري: جـ١١ ص١٤١.

(٣) ابن الكلبي: ص١٦٤؛ البلاذري جـ١١ ص١٤١.

(٤) الألوسي: بلوغ الأرب ، جـ٣ ص٧١.

(٥) القالي: الأمالي جـ١ ص٤ ؛ الجراعي: الأوائل ، تحقيق: عادل الفريحات، دار الإيمان ، ط١ ١٩٨٨م.

(٦) السهيلي: الروض الأنف، جـ١ ص١١٤.

(٧) الفاسي: شفاء الغرام، جـ٢ ص٤٩.

(٨) البلاذري: المصدر السابق ، جـ١١ ص١٤٢.

(٩) البلاذري: جـ١١ ص١٤٢.

تولى وحده إنساء الشهور أربعين سنة[١]، وذلك حتى جاء الإسلام وحرم النسيء.

أما عن كيفية الإنساء، إذا كان الغرض من الإنساء ألا يحلوا المحرم قام القلمس بفناء الكعبة يوم الصدور من مني فيقول "أيها الناس، لا تحلوا حرماتكم وعظموا شعائركم، فإني أجاب ولا أعاب لقول قلته"[٢]، فهناك يحرمون المحرم ذلك العام، وكان العرب الجاهليين يسمون المحرم: صفر الأول، وصفر: صفر الآخر ويقولن: صفران وشهرا ربيع وجماديان ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وذوا القعدة وذوا الحجة، فكان ينسأ الإنساء سنة، ويترك سنة فيحلوا الشهور المحرمة ويحرموا الشهور التي ليست بمحرمة، فإذا كانت السنة التي ينسأ فيها يقوم ويخطب بفناء الكعبة والناس مجتمعون إليه يوم صدورهم من مني فيقول: أيها الناس إنى قد أنسأت العام صفر الأول: يعني المحرم، فيطرحونه من الشهور ولا يعتدون به، ويبتدئون العدة بعده[٣].

لذا نرى أن القلامسة عندما تعتدي طيء وخثعم على العرب خاصة فى الأشهر الحرم أو موسم الحج يقوم القلمس قائلاً:-

---

(١) البلاذري: جـ١١ ص١٤١؛ ابن الكلبي: ص١٦٤.

(٢) الفاسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٩.

(٣) العصامي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٦٥.

" لا أجاب ولا أعاب، ولا يرد ما قضيت به، وإني قد أحللت دماء المحلين من طيء وخثعم فاقتلوهم حيث وجدتموهم إذا عرضوا لكم"[١].

ولعل من الأمثلة على ذلك أن العرب إذا حجت قلدت الإبل النعال وألبستها الجلال فلا يعرض لها أحج إلا خثعم ، فقال بعض الشعراء:-

وخشيف ما خشيف تلكم وهممنا بخشيف كل هم
تلك شهران وتلكم ناهش حلل الله إذ أهم ثم عم
غارة قد شنها فرسانهم حرم الشهر وفى غير الحرم

ولقي شخص يدعى أنساً بن مدرك الخثعمي شخص يدعى عبد الله بن الحارث الهمذاني فسلبه، فقال:-

وما رحلت من سر وحمير ناقت ليحجبها عن دون بيتك حاجب
تعلم مليك الله أن ابن مدرك لأمثالها إن لم تنكله آيب
أرى أنساً قد صدنا بسفاهة عن البيت إذ أعيت عليه المكاسب[٢]

وعلى كل حال ظل النسيء يعمل به حتى جاء الإسلام وفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فوجه أبا بكر فى السنة التاسعة من الهجرة على موسم الحج، فحج بالناس وهى آخر حجة حجها المشركون، وكان الحج فى تلك السنة فى اليوم العاشر من ذي القعدة، وفى نفس العام نزلت

(١) البلاذري: السابق جـ١١ ص١٤٢.

(٢) البلاذري: المصدرالسابق ، جـ١١ ص١٤٣.

آيات من سورة براءة (التوبة)، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على بن أبى طالب وأمره بقراءتها على الناس بمنى، وكان رسول الله صلى الله أمر علياً بأداء أربع كلمات "ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مسلم، ومن كانت بينه وبين رسول ـالله صلى الله عليه وسلم ـمدة فاجله إلى مدته"[١]، وفى حجة النبي صلى الله عليه وسلم الوحيدة المعروفة بحجة الوداع كانت موافقة لشهر ذي الحجة فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، ثم قال لما فرغ من خطبته صلى الله عليه وسلم: أي يوم هذا "قالوا: يوم حرام، قال: أي شهر هذا قالوا: شهر حرام، قال: أي بلد هذا قالوا: بلد حرام، فقال: إلا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا اللهم هل بلغت"[٢].

وقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم الأشهر الحرم فى هذه الحجة فقال: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان"[٣]، ومضر هو اسم لشهر رجب لأنه كانت تعظمه العرب، وتحرمه ولم يستحله من

(١) المسعودي: المصدر السابق ، ص٢١٨.

(٢) المرزوقي: المصدر السابق ، ص٦٩.

(٣) المرزوقي: المصدر السابق ، ص٦٨.

العرب بما فيهم الأحابيش إلا خثعم وطيء، وصدق الله العظيم حيث قال: (إنما النسيء زيادة فى الكفر)[١]، و(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله)[٢].

الأحابيش ودورهم فى حروب الفجار:-

لقد قامت عدة حروب طاحنة فى بلاد الحجاز قبل الإسلام، اشهرها تلك التي اصطلح على تسميتها باسم حرب(حروب) الفجار.

والفِجار: بالكسر، وهى أيام كانت بين قريش ومن معها من كنانة وقيس عيلان وذلك فى الجاهلية[٣].

وسميت حرب الفجار فجاراً لأنها كانت فى الأشهر الحرم، وقد أطلق المتحاربون فى هذه الحرب لفظ الفجور على أنفسهم، فلما قاتلت قريش وقيس قالوا: "فجرنا" فسميت لذلك فجاراً[٤].

---

(١) التوبة: ٣٧.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) الزبيدي: تاج العروس، تحقيق/ حسن نصار، الكويت ،١٩٧٤م ،جـ١٣ ص٣٠٢. فى كتب اللغة: الفجار جمع فاجر وهو المنبعث فى المعاصي والمحارم، وفجر فجوراً أي فسق، وفجر إذا كذب، وأصله الميل والفاجر: المائل، وفجر الرجل بالمرأة يفجر فجوراً وفجور من قوم فجر،وكذلك الأنثى بغير هاء. والفجور: الركوب إلى ما لا يحل، وحلف فلان على فجره، واشتمل على فجره، إذا ركب أمراً قبيحاً من يمين كاذبة أو زنا أو كذب، فالفجر أصله الشق ومنه أخذ فجر السكر، وهو بثقه، والفجور أصله الميل عن الحق. ابن منظور: جـ٧ ص٢٨.

(٤) الفاكهي: جـ٥ ص١٨٣ ،١٨٩؛ الأصفهاني:الأغاني ، جـ٢٢ ص٥٨، ٧٨.

هذا ما اتُفق عليه فى تعريف حرب الفجار وسبب تسميتها بهذا الاسم، لكن بالرغم من ذلك وقعوا فى اختلاف فيما بينهم حول تحديد عدة حروب الفجار، وهم فى ذلك على أربعة أقوال:-

القول الأول: يرى أنها كانت حربين أي حرب الفجار الأولى وحرب الفجار الثانية، وقد قال بهذا الرأي بعض العلماء مثل: الفاكهي والأصفهاني[١]، وابن واصل[٣]، وجرجي زيدان، ومحمد جاد المولى[٤].

القول الثاني: يرى أنها ثلاثة أيام أو حروب، ومن هؤلاء ابن رشيق[٥].

القول الثالث: يرى أنها أربعة حروب أو أيام، ومن أنصار هذا القول ابن حبيب[٦]، والمسعودي[٧]، وابن عبد ربه[٨]، وابن كثير[٩].

أما القول الرابع: فيرى أنها ستة أيام ومن أنصاره مغلطاي[٢].

هذه هي أهم الآراء التي قيلت عن عدة حروب الفجار.

---

(١) ابن واصل:تجريد الأغاني، القسم الثاني، الجزء الأول ص٢٢٦٠- ٢٢٦٩.

(١) العرب قبل الإسلام: ص٢٧١ ؛ أيام العرب فى الجاهلية: ص٣٢٢ - ٣٤١.

(١) ابن رشيق: العمدة ، جـ٢ ص١٨٩.

(١) ابن حبيب:المنمق ، ص١٦٠- ١٨٥.

(١) المسعودي: التنبيه والإشراف ،ص٢٠٩؛ مروج الذهب جـ٢ ص٢٧٥.

(١) ابن عبد ربه:العقد الفريد ، جـ٥ ص٢٥١، ٢٦٠.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: جـ٢ ص٢٩٤.

(٢) مغلطاي: سيرة النبي المصطفى. مخطوط ورقه ٧ أ.

أما الرأي الذى قال أن حرب الفجار كانت اثنين ذكروا أن هذه الأيام هي اليوم الأول والذي كان سبب قيامه بدر بن معشر الغفاري الذى كان بسوق عكاظ جالساً وباسطاً رجليه قائلاً أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضرب هذه بالسيف فهو أعز مني"[١]، فوثب عليه الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة من بني نصر بن معاوية فضرب بالسيف على ركبته ففصلها[٢] ثم قال: خذها إليك أيها المخندف"[٣]، وعندئذ كانت الحرب الأولى من الفجار الأول وفى حرب الفجار الأولى كان يوم ثاني وهو فجار المرأة من بني عامر، فاعتدى شباب من العرب عليها بأن علقوا شوكة فى طرف ثوبها، فلما قامت انكشفت سوءتها وبعدئذ وقع قتال شديد بين الطرفين، حتى توسط حرب بن أمية واحتمل دماء القوم وأرضى بني عامر[٤].

واليوم الثالث من أيام الفجار الأول هو فجار القرد، وذلك أن رجل من بني جشم بن بكر بن هوازن دين على رجل من بني كنانة، ولكن الكناني لم يستطيع تسديد الدين، فأحضر صاحب الدين قرداً ونزل به سوق عكاظ ثم جعل ينادي: من يبيعني مثل هذا القرد بمالي على فلان بن فلان الكناني؟ وأثناء مناداته مر به رجل من بني كنانة فقتل القرد بسيفه، فهتف

(١) الأصفهاني: المصدر السابق ، جـ٢٢ ص٥٩؛ ابن واصل ص٢٢٦١.

(٢) يذكر العصامي أنه خدشها خدشاً غير كبير. سمط النجوم العوالي، ج١ ص٢٣٧.

(٣) الاصفهاني: السابق جـ٢٢ ص٥٩؛ ابن واصل ص٢٢٦١.

(٤) الأصفهاني: الأغاني ، جـ٢٢ ص٦٠.

به الجشمي: يا آل هوازن وهتف الكناني: يا آل كنانة، فتجمع الحيان فاقتتلوا حتى تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى[١].

أما الفجار الثاني: فكان الذى هاجها البراض بن قيس بقتله عروة الرحال[٢]، وكان من أيام هذه الحرب شمطه والعبلاء وشرب والحريرة، فنلاحظ هنا أن من ذكر أن الفجار فجارين جعل فى الأولى فجار الغفاري وفجار المرأة وفجار القرد، وفي الفجار الثاني كان فجار الضمري وما أعقب ذلك من أيام.

أما من قال إن حرب الفجار كانت ثلاثة فذكر أن الأول كان فجار الغفاري والثاني كان فجار المراة والثالث كان فجار القرد[٣]، وقد أغفل صاحب هذا الرأي فجار الضمري.

أما من ذكر أن حرب الفجار كانت أربعة، فذكر أن حرب الفجار الأولى كانت فجار الغفاري، والفجار الثانية هي فجار المرأة، والفجار الثالث فجار القرد، والفجار الرابع والأخير فجار الضمري[٤].

---

(١) الأصفهاني: المصدر السابق، جـ٢٢ ص٦١.

(٢) جرجي زيدان: المرجع السابق، ص٢٧٢.

(٣) ابن رشيق: جـ٢ ص١٨٩.

(٤) ابن عبد ربه: جـ٥ ص٢٥٣.

أما من ذكر أن الفجار كانت ستة فهو مغلطاي وقال أن ذلك هو الصحيح، لكنه لم يذكر أي معلومات أو أي شيء يتعلق بماهية هذه الحروب وأسمائها وكل ما ذكره أن الصحيح أنها ستة[١].

لكن من الملاحظ أن اصحاب كل تلك الآراء أو معظمهم قد أغفلوا ذكر حربين من حروب الفجار لكنهما غير حروب الفجار التي قامت بين كنانة وقيس عيلان، وإنما كانت بين الأوس والخزرج واليهود، فأما الأولى فكانت بين الأوس والخزرج وسميت بالفجار لأن الأوس قد قتلت ثلاثة غلمان وقد دفعتهم الخزرج كرهان لحرب البقيع التي كانت بينهما، وعندئذ وقعت الحرب بين الأوس والخزرج وكان رئيس الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول وعلى الأوس أبو قيس بن الأسلت[٢].

أما الفجار الثاني فكانت بين الأوس وحلفائهم من اليهود بني قريظة وبني النضير ضد الخزرج، وسببها أن الخزرج قد علمت أن الأوس قد حالفت قريظة والنضير على الخزرج، فلما بلغ ذلك الخزرج أرسلوا إلى اليهود يهددونهم بالحرب، فقالت اليهود: إنا لا نريد ذلك، فأخذت الخزرج أربعين غلاماً من قريظة والنضير كرهان لوفاء اليهود، إلا أن الخزرج غدرت بالعهد وقتلت الغلمان اليهود، وعندئذ وقعت حرب الفجار الثانية وسميت بالفجار لقتل الغلمان من اليهود[٣] وكان آخر الأيام

(١) مغلطاي: سيرة النبي المصطفي، مخطوط ورقة ٧أ.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١ ص٥٠٢.

(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١ ص٥٠٤.

فى حرب الفجار الثانية يوم بعاث الذي حدث قبل الهجرة النبوية من مكة إلي المدينة بخمس سنوات[١].

من الملاحظ أن من قال أن حرب الفجار كانت اثنين أو أربعاً قد اختلفوا فى تقسيمهم لحروب الفجار، فمن قال اثنان فقد جعل الحرب الأولى والثانية والثالثة يوماً واحداً وجعل الثانية يوماً أخر[٢].

أما من قال أنها أربع فقد جعل حرب الفجار الأولى عند أصحاب الرأي السابق ثلاثة حروب بالإضافة إلى الحرب الرابعة[٣] التي هى الثانية عند أصحاب الرأي الأول.

أما من قال أنها ثلاثة[٤] حروب فقد أغفل الحرب الرابعة التي عرفت بفجار الضمري، والتي شارك فى بعضه أيامها النبي صلى الله عليه وسلم.

أما من قال أنها ست أيام فقد أدخل ـ والله أعلم بمراده ـ حروب الفجار الأربعة التي كانت بين قيس عيلان وكنانة وحربين الفجار التي

---

(١) السمهودي وفاد الوفا، تحقيق/ خالد عبد الغنى محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م جـ١ ص١٧٢؛ علي معطي: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، مؤسسة العارف، بيروت، د. ت. ص٤٣.

(٢) الفاكهى: المصدر السابق ،جـ٥ ص؛ الأصفهاني: جـ٢٢ ص٥٨، ٧٨؛ ابن واصل: ص٢٢٦٠-٢٢٦٩.

(٣) ابن حبيب: السابق ص١٦٠: ١٨٥؛ المسعودي: مروج الذهب ،جـ٢ ص٢٧٥.

(٤) ابن رشيق: المصدر السابق ،جـ٢ ص١٨٩.

قامت فى المدينة بين الأوس والخزرج واليهود[١].

ونستخلص مما سبق أن حروب الفجار أربعة كانت بمكة وما حولها وكانت فجاراً لفجورهم فى الأشهر الحرم، وحربان آخران كانتا فى المدينة سببها قتل الغلمان سواء من الخزرج أو من اليهود، فحروب الفجار التي قامت فى مكة وما حولها تختلف فى أسبابها وأطرافها عن تلك التي قامت فى المدينة.

وفي هذه الدراسة سيقتصر الحديث حول الحروب التي كان للأحابيش دوراً فيها وإبراز دور الأحابيش العسكري في تلك الحروب.

سبب حرب الفجار الرابعة:-

كان هناك شخص من بني ضمرة يدعى البراض بن قيس بن رافع[٢]، وكان سكيراً فاسقاً معدوداً من فتاك الجاهلية[٣]، وبسبب تصرفاته وأفعاله خلعه قومه[٤]، فذهب إلى بني الديل ربما لمحالفتهم وأن يستلحقوه، إلا أنه شرب هناك وأساء التصرف فخلع منها أيضاً فلم يجد بداً من الذهاب

---

(١) ابن الأثير: جـ١ ص٥٠٢، ٥٠٨.

(٢) عند ابن حبيب اسمه رافع بن قيس. المحبر: ص٢١٤، المنمق: ص١٦٤ والصواب البراض بن قيس.

(٣) هو من يتصف بالجرأة والقتل. وقيل عن البراض أفتك من البراض. الميداني: مجمع الأمثال ، جـ٢ ص١٠٥.

(٤) ابن حبيب: المنمق ، ص١٦٤.

إلى مكة فحالف بني سهم[١]، وقيل حالف حرب بن أميه، لكن يبدو أنه حالف الاثنين، فحالف بني سهم أولاً، وأثناء حلفه منهم قتل رجلاً من هذيل فقام الهذليون إلى بني سهم يطلبون دم صاحبهم فأعلنت بنو سهم أنهم قد خلعوا البراض وتبرءوا من جرائمه، وأعلن العاص بن وائل أنه خلعه كما يخلع الكلب[٢] ، فكف الهذليون عن المطالبة بدم البراض مؤقتاً.

وبعد خلع البراض من بني سهم هام على وجهه باحثاً عن أحداً يحالفه فلم يجد أحداً يقبله كحليف حتى جاء إلى حرب بن أميه يطلب حلفه إلا أن حرباً رفض فى البداية، لكنه وافق على محالفة البراض، بعد أن ألح البراض عليه بشرط إن رأى حرب من البراض ما يكره يخلعه ويتبرأ منه، وعندئذ تم التحالف بين حرب بن أميه والبراض، ولكن البراض اعتدى على رجل من خزاعة ففر البراض إلى اليمن فأقام بها سنة[٣]، وبعدها أراد العودة لمكة مرة أخرى، فعلم الهذليون والخزاعيون باقتراب البراض من

---

(١) ابن حبيب: السابق، ص١٦٤.

(٢) من الراجح أن آخر من حالفه بعد بني سهم هو حرب بن أميه، لأن حرب لما قرر أن يخلع البراض بعد ذلك قال له البراض "إنه لم يبق أحد ممن يعرفني إلا خلعني سواك وإنك إن خلعتني لم ينظر إلى أحد بعدك، فدعني على حلفك، وأنا خارج عنك، فخرج إلى الحيرة ، الأغاني فى جـ٢٢ ص٦١.

(٣) ابن حبيب: المحبر ، ص٢١٤؛ ابن حبيب: المنمق ، ص١٦٤.

مكة فأرادوا الثأر منه بعد أن أصبح خليعاً لا حلف له[١] وبالتالي فلن يطلب أحد بدمه أوالثأر له[٢].

وتذكر أحد المصادر أنه مكث على حلف حرب بن أميه ولم يتبرأ منه حرب، ولكن يبدو أن الإبقاء على هذا الحلف كان إسمياً فقط لأن حرباً أراد التبرؤ من حلف البراض، إلا أن البراض طلب من حرب أن يبقيه على حلفه لأنه لم يعد هناك أحد ممن يعرفه يريد محالفته[٣].

ولما كثر الطلب على البراض ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فولى وجهه شطر الحيرة لعله يجد عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ملاذاً وحاول الدخول على النعمان دون جدوى.

وفى تلك الأثناء التي كان فيها البراض ينتظر مقابلة النعمان بن المنذر كان موعد انعقاد سوق عكاظ قد حان[٤]، وكان كل عام يبعث إليه النعمان بن المنذر بلطيمة[٥]، ولا يتعرض لها أحد حتى قتل النعمان بن المنذر

---

(١) ابن حبيب :المصدر السابق ، ص١٦٤.

(٢) هو الذي تخلعه القبيلة من انتمائه إليها بسبب الجرائم والمخالفات التي يرتكبها.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ، جـ٢٢ ص٦١.

(٤) كان يقام سوق عكاظ فى شهر ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم، وكان يقام يوم هلال ذي القعدة حتى العشرين منه. عرفان محمد حمور: سوق عكاظ ومواسم الحج، نوش الرحاب الحديثة، بيروت جـ١ ٢٠٠٠م ص٥٧. وسيأتي الحديث عن سوق عكاظ ومواعيده بتوسع فى الحياة الاقتصادية للأحابيش.

(٥) العير التي عليها أحمال من أوعية المسك والطيب. ابن منظور:جـ٨ ص٨٣.

أحد أخوة بلعاء بن قيس الكناني[١] فلم يجد بلعاء وسيلة ينتقم بها لقتل النعمان لأخيه من التعرض لقوافل النعمان المتجهة لتهامة فى سيرها لسوق عكاظ، وقد فعل بلعاء ذلك مرتين[٢]، فخاف النعمان على لطيمته يومئذ، فكان يبحث عن شخص يجيز لطيمته ويبعها ويشترى له بها الأدم[٣]، والحرير والوكاء[٤]، والحذاء والبرود من العصب[٥]، والوشي[٦] والمسير[٧] والعدني[٨]، وكان حاضراً وقتها البراض بن قيس وعروة الرجال بن عتبة ابن جعفر بن كلاب فوثب البراض متقلداً سيفاً قد أكل غمدة من حدة، فقال أنا أجيزها لك؟، فقال: عروة الرجال مستهزئاً من البراض: أنت تجيزها على أهل الشيح والقيصوم؟ وإنما أنت كالكلب الخليع أنت أضيق أستا من ذلك، ثم وجه كلامه للنعمان أنا أيها الملك أجيزها لك على الحين يقصد كنانة وقيس، فقال له البراض: أنت تجيزها على أهل تهامة، فلم يلتفت النعمان إلى البراض وازدراه ودفع اللطيمة إلى

---

(١) بلعاء بن قيس تقدم ذكره فى حرب ذات نكيف والمشلل.

(٢)ابن حبيب:المحبر،٢١٥، المنمق ص١٦٤.

(٣) الجلد المدبوغ. المقري: ص١١.

(٤) حبل يشد به رأس القربة ، المقري: المصباح المنير ص٣٩٩.

(٥) برد يصبغ غزله ثم ينسج، والعصب صبغ لا ينبت إلا باليمن ، المقري:المصباح المنير ص٢٤٦.

(٦) نوع من الثبات يكون منقوشاً. المقري:المصباح المنير ، ص٣٩٣.

(٧) ثوب فيه خيوط القز والحرير.

(٨) الثياب التي تأتي من عدن.

عروة الرحال[١]، الذى خرج بعدئذ بالعير، والبراض بن قيس فى إثره حتى قتله البراض وإستولى على العير.

وعن كيفية مقتل عروة يقال أن البراض كان يتبع عروة، ولما كانوا بين ظهراني قومه من غطفان إلى جانب فدك إلى أرض يقال لها أواره فنزل بها عروة فشرب الخمر وغنته القيان ثم نام، فجاء البراض فدخل عليه، فناشده عروة وقال: قد كانت مني زلة وكانت الفعلة مني ضله فقتله[٢].

وقيل إن عروة والبراض أثناء وجودهما بوادي تيمن بأرض أوارة بنواحي فدك، أخرج البراض بن قيس قداحه يستقسم بها فى قتل عروة، فمر به عروة فقال: ما تصنع يا براض؟ فقال: استقسم فى قتلك أيؤذن لي أم لا؟ فقال عروة: إستك أضيق من ذلك، فوثب إليه البراض بالسيف فقتله[٣].

ويمكن الجمع بين القولين بأن استهزاء عروة بالبراض وسخريته منه أثناء استقسامه وقوله أن يتساك حملها البراض فى نفسه وأخذ عروة على حين غرة وهو سكران فقتله.

---

(١) ابن حبيب: المحبر، ص٢١٥ ؛ المنمق ، ص١٦٥.

(٢) أبى عبيدة: أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق عادل البياتي، عالم الكتب، ط١ ٢٠٠٣م جـ٢ ص٢٥١.

(٣) ابن الأثير: جـ١ ص٤٤١- ٤٤٢.

وعلى كل حال بعد أن قتل البراض عروة هرب من كان مع عروة، وأخذ البراض العير واتجه بها إلى خيبر وتبعه رجلان من قيس أحدهم اسمه أسد بن جويد الغنوي، والآخر اسمه ساور بن مالك الغطفاني لكي يقبضا عليه، إلا أن البراض لقيهما وهما لا يعرفانه فتحايل عليهما ففتك بهما.

وبعد فعلة البراض بقتله للرجلين، لقي رجلاً يدعى بشر بن أبي خازم فقال له هذه القلائض لك، وكانت عشراً من الإبل[١] وقيل أربع قلائض[٢]، على أن تأتي حرب بن أميه وعبد الله بن جدعان وهشاماً والوليد بن المغيرة فتخبرهم أن البراض قتل عروة، فإني أخاف أن يسبق الخبر إلى قيس ويكتموه حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً[٣].

فقال له بشر: وما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل؟، قال: إن هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بني ضمرة[٤]، وذلك أن عروة الرحال كان سيداً لهوازن، والبراض كان خليعاً من بني كنانة[٥] كما سبق القول.

---

(١) في الكامل لابن الأثير: رجلاً من بني أسد بن خزيمة جـ١ ص٤٤٢ ، والمعني واحداً لأن أسد بن خزيمة بن خندف أيضا، ونسب بشر منها.

(٢) المصدر السابق ، جـ١ ص٤٤٢.

(٣) البلاذري: جـ١ ص١٠١.

(٤) الأصفهاني:الأغاني ، جـ٢٢ ص٦٣.

(٥) ابن عبد ربه: جـ٥ ص٢٥٣.

وأثناء حديث البراض بن قيس مع بشر بن أبى خازم مر بهما الحليس ابن يزيد سيد الأحابيش سيد الأحابيش، فقال لهما مالي أراكم نجيا ؟ فأخبروه الخبر ثم ارتحلوا وكتموا الخبر على اتفاق منهم[١]، فخرج بشر حتى أتى عكاظ وبها جماعة من الناس، فأتي حرب بن أميه فأخبره الخبر، فبعث إلى عبد الله بن جدعان وإلى هشام بن المغيرة المخزومي والد أبى جهل، وهما من أشراف قريش وذوي السن منهم، كما أرسل إلى كل قبيلة من قريش أحضر منها رجلاً، وإلى الحليس بن يزيد سيد الأحابيش[٢]، فأخبرهم أيضاً، فتشاوروا وقالوا: نخشى من قيس أن يطلبوا ثأر صاحبهم منا فإنهم لا يرضون أن يقتلوا به خليعاً من بني ضمرة[٣]، يقصدون بالخليع البراض بن قيس، وحتى لا يشعر بني جعفر بن كلاب رهط عروة القتيل أو يشكون بأمر قريش اتفق حرب بن أميه والحليس بن يزيد وعبد الله بن جدعان أن يأتوا أبا عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الأسنة، ويقولا له أنه قد حدث بين نجد وتهامة، وإنه لم يأتنا علمه فأجز بين الناس حتى تعلم فأجز بين الناس، وأعلم قومه ما قيل له، ثم قام نفر من قريش فقالوا: يا أهل عكاظ إنه قد حدث فى قومنا بمكة حدث أتانا

---

(١) البلاذري: جـ١ ص١٠١؛ الأغاني جـ٢٢ ص٦٣- ٦٤.

(٢) لا تعارض فى ذلك بين إرسال حرب بن أميه للحليس بن يزيد سيد الأحابيش يعمله بما حدث ، وبين علم الحليس المسبق بالأمر، لأن الحليس عندما مر بالبراض كان بشر خارج سوق عكاظ ، بدليل أن حرب أرسل للحليس ولغيره من قريش وهو فى عكاظ لي يحضروا إلي سوق عكاظ، وربما أن الحليس قد ذهب عندما علم بالأمر إلى دياره لكي يجهز الأحابيش وسبق لحرب محتملة قادمة.

(٣) ابن الأثير: الكامل ، جـ١ ص٤٤٢.

خبره ونخشى إن تخلفنا عنهم أن يتفاقم الشر، فلا يروعنكم تحملنا، ثم ركبوا على الصعب والذلول إلى مكة[١].

وبعد أن رحلت قريش ومن معها من الأحابيش علمت قيس بمقتل عروة الرحال فقال أبا براء، خدعنا حرب وابن جدعان، وكان ملاعب الأسنة وقيس لا يزالا بسوق عكاظ، فخرجوا بإثر قريش ومن معها عند نخلة واندلعت أولى معارك حرب الفجار التي استمرت أربع سنوات[٢].

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١ ص٤٤٢.

(٢) الفاكهي: جـ٥ ص١٨٥.

معركة نخلة:-

هي أولى المعارك التي وقعت بين قريش والأحابيش ضد قيس، ونخلة موضع بالحجاز بين مكة والطائف[١]، وقد اندلعت فيها معركة نخلة، وسببها أن قيس لما علمت بمقتل عروة الرحال على يد البراض بن قيس وخرجت قريش ومن معها من الأحابيش من عكاظ[٢] بحجة أن هناك أمر حدث بين نجد وتهامة يخشى تفاقم الأمر منه، تبعتهم ولحقت بهم بنخلة، ويقال أن عبد الله بن جدعان قد قام بتوزيع الأسلحة التي كانت عنده[٣]، على قريش ومن معها من الأحابيش، وقد إستمر القتال حتى دخلت قريش الحرم وجنّ عليهم الليل فكفوا عن القتال[٤].

(١) ابن منظور: السابق ، جـ ٨ ص٤٩٨. هناك عدة أماكن تسمى بنخلة وهم نخلة اليمانية ، ونخلة الشامية ويضيف الحموي إليهم نخلة القصوي ونخلة محمود ، وفيها ذكر الحموي قيام معركة نخلة التي بصدد الحديث عنها موضع على ليلة من مكة. البكري: السابق ، جـ٤ ص١٤٨؛ الحموي: معجم البلدان ، جـ٨ ص٣٨١.

(٢) عكاظ: تقع فمنتصف الطريق بين نخلة والطائف. ابن الأثير:الكامل، ج١ ص٤٤١

(٣) محمد جاد المولى: أيام العرب،ص٣٢٩. كانت العرب إذا قدمت عكاظ تدفع أسلحتها إلى ابن جدعان حتى يفرغوان أسواقهم وحجهم ثم يردها عليهم إذا اظعنوا وقد كان أن جدعان أميناً فى ذلك حتى أن حرب بن أميه طلب من ابن جدعان أن يحتجز سلاح هوازن فرفض ابن جدعان قائلا: أباالغرر تأمرني ياحرب؟ والله لو أعلم أنه لا يبقي منها سيف إلا ضربت به ولا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئاً. الأصفهاني: الأغاني ، جـ٢٢ ص٦٤.

(٤) ابن الاثير: جـ ص٤٤٣.

وكادت الغلبة يومئذ تكون على قريش لولا إحتمائها بالحرم[١]، وعندئذ إنتهت المعركة وقال الأدرم بن شعيب أحد بني عامر بن ربيعة بن صعصعة: يا معشر قريش، ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ[٢]، ولم تنته المعركة بنتيجة حاسمة لأي من الطرفين ويمكن القول أن هذه المعركة لم تحسم لقريش لأنها لم تكن تستعد لها هى والأحابيش لأن الأحداث التي آلت إليها هذه المعركة كانت سريعة، كما أن قريش أثناء فرارها من عكاظ متجهة إلى مكة لم تكن على علم بأن قيس ستعلم بما حدث لعروة الرحال وأنهم سيتبعون قريش بهذه السرعة ، أضف إلى ذلك أن قوة الأحابيش التي كانت بعكاظ لم تكن كبيرة، إنما هي فئة قليلة كانت تذهب لسوق عكاظ سنوياً مع هوازن وغطفان وأسلم وقريش للتجارة[٣] وليس للحرب، بدليل دفعهم الأسلحة عند إنعقاد السوق عند ابن جدعان[٤]، أما ما يقال بأن ابن جدعان قد جهز فى هذه المعركة قريش بمئة درع ومائة رمح ومائة سيف ليس صحيحاً لأنه إذا قام بذلك فسوف يحتاج لوقت طويل لكي يجهزهم مما يثير الشك فى نفوس قيس وغطفان، أضف إلى ذلك الأسلحة الأساسية الخاصة بقريش والأحابيش التي كانت عند ابن جدعان، فإذا أضيفت الأسلحة الرئيسية الموجودة بالفعل لوجدنا أن قوة قريش والأحابيش لم تقل عن الأربعمائة تقريباً،

---

(١) ابن الأثير: السابق جـ١ ص٤٤٣.

(٢) الأصفاني: الأغاني ، جـ٢٢ ص٦٥.

(٣) المرزوقي: المصدر السابق ، ص٣٨٥؛ الصحاري: الأنساب ،د.ن، د.ت، ص٣.

(٤) الأغاني جـ٢٢ ص٦٤؛ جاد المولى: السابق ص٣٢٩.

وهذا ما لا تؤيده الأحداث التي وقعت، وإذا نظرنا إلى قواد قريش فى هذه المعركة لدل الأمر على قلة جيش قريش والأحابيش آنذاك، فقد كان حرب بن أمية فى القلب وكان معه راية قصى العقاب، وابن جدعان فى أحد المجنبتين وهشام بن المغيرة فى الأخرى[١] ولم تذكر أي من المصادر ذكر لإشتراك الحليس بن يزيد فى هذه المعركة وهو سيد الأحابيش،على الرغم من علمه بما حدث لمقتل عروة الرحال وما أجمع عليه الحضور من قريش للانسحاب بهدوء من عكاظ.

أما قواد قيس وحلفاءها، فكان ملاعب الأسنة عامر بن مالك على بن عامر وكيدام بن عمير على فهم وعدوان، ومسعود بن سهم على ثقيف وسبيع ابن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية، والصحة بن الحارث على بني جشم[٢].

هذه هى معركة نخلة أولى حروب الفجار الرابعة بين قريش ومن معها من الأحابيش ، وقيس وغطفان وحلفائهم ، أما ما قيل أن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ لم يشترك فى معركة نخلة هذه[٣] فلا دليل عليه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنه إشترك فى حرب الفجار لكنه لم يحدد

(١) الأصفهاني: الأغاني ، جـ٢٢ ص٦٥.

(٢) الأصفهاني: المصدر السابق ، جـ٢٢ ص٦٥.

(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر، تحقيق: محمد الخطراوي، دار التراث، المدينة المنورة، ط١ ١٩٩٢م، جـ١ ص١١٣.

معركة بعينها إشترك فيها، إلا أن الأحداث تبين أنه إشترك في يوم شمطة، كما سيتضح فيما بعد.

معركة شمطة:-

هي ثاني المعارك التي كانت بين قريش وحلفائها من الأحابيش ضد قيس عيلان وحلفائها، وأحد أيام حرب الفجار الرابعة، وقد أخطأ النويرى عندما عدها ويوم نخلة يوماً واحداً[١]، وقيل أن هذه المعركة اسمها شمطة[٢]، وقيل شطيمة، وقيل شيطمة[٣]، وشيظمة[٤] وقيل شمظة[٥]، والصواب شمطة، وهو موقع قريب من عكاظ[٦].

وكانت هذه المعركة بعد عام من معركة نخلة، وسببها أن قريش لما دخلت الحرم بعد خروجها من عكاظ العام السابق نادت قيس عيلان يا معشر قريش إنّا نعاهد الله ألا نبطل دم عروة أبداً أو نقتل به عظيماً منكم[٧]، وقال الأدرم ابن شعيب أحد بني عامر بن ربيعة بن صعصعة: يا

---

(١) النويري: نهاية الأرب ، دار الكتب المصرية، ط١، ١٩٥٥م،ج١٥ص٤٢٧.

(٢) ابن حبيب: السابق ، ص١٧٣؛ أبو عبيدة: أيام العرب ، تحقيق د/عادل جاسم البياتى، عالم الكتب ، بيروت، ج٢، ط١، ٢٠٠٣م ج٢ص٢٥٤؛ الأصفهاني: جـ٢٢ ص٦٧؛ الحموي: جـ٥ ص١٥٦.

(٣) الفاكهي: جـ٥ ص١٨٥.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام ، جـ٢ ص١١٢.

(٥) العصامي: جـ١ ص٢٣٩.

(٦) البكري: جـ٣ ص٨٨.

(٧) الحموي جـ٥ ص١٥٦.

معشر قريش ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ[١]، فقال حرب بن أمية لابنه أبي سفيان: قل لهم أن موعدكم قابل فى هذا اليوم[٢]، أي فى مثل نفس اليوم الذي وقعت فيه معركة نخلة.

وقد كانت هذه المعركة مهمة، فقد أخذ المتحاربون يجهزون لها عاماً كاملاً وإشترك فيها بطوناً كثيرة، وكانت بنو هاشم لا تريد الخروج فيها، فقد حاول أبو طالب كبير بني هاشم آنذاك أن يمنع إشتراك أحد من بني هاشم فيها، فقرر ألا يحضره هو أو أي أحد من أهله، ولكن الزبير بن عبد المطلب شقيق أبي طالب خرج مكرهاً إليها وقال عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية لا تحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم لذا خرج الزبير فى هذه الحرب[٣]، ومعه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعباس بن عبد المطلب[٤].

أما البطون التى شاركت فى هذه الحرب فهي:-

---

(١) النويري: جـ٥ ص٤٢٧.

(٢) الأصفهاني: جـ٢٢ ص٦٥.

(٣) اليعقوبي: جـ٢ ص١١.

(٤) ابن حبيب: السابق ، ص١٧١.

(٤)ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٧٠.

(٤)ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٧٢.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ٥ ص٣٤٩ ؛ ابن حجر: الإصابة ، جـ٦ ص٢٥٨.

(٤)ابن حبيب: السابق ، ص١٧٠.

بنو هاشم وعليها الزبير بن عبد المطلب، وكان معهم بني المطلب وكان على بني المطلب يزيد بن هاشم بن المطلب.

بني عبد شمس وعليها حرب بن أمية ومعه أخواه أبو سفيان وسفيان بنو نوفل عليها مطعم بن عدى بن نوفل.

بني أسد بن عبد العزي عليها خويلد بن أسد وعثمان بن الحويرث ابن أسد وعلى بني زهرة مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف ابن زهرة وأخوه صفوان.

بني عبد الدار: عليها عكرمة بن عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ويقال عامر أبوه.

بني مخزوم: عليها هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومعه أخوه الوليد بن المغيرة.

بني سهم: عليها العاص بن وائل وعلى بني تميم: عبد الله بن جدعان، وعلى بني عدى زيد بن عمرو بن نفيل وعلى بني عامر بن لؤى عمرو بن عبد شمس أبو سهيل بن عمرو، وعلى بني محارب ابن فهر ضرار بن الخطاب بن مرداس، وعلى بني الحارث بن فهر عبد الله بن الجراح أبو أبى عبيدة بن الجراح.

وعلى بني جمح معمر بن حبيب[٣].

ويقال أن بني بكر وبني فراس بن غنم بن مالك ، وبني أسد بن خزيمة شاركوا فى هذه المعركة[٤] فى صفوف قريش والأحابيش، فقد كان على بني بكر بن عبد مناة بلعاء بن قيس[٥]، والذي سبق وحارب ضد قريش والأحابيش فى يوم ذات نكيف والمسلل، ويقال أنه مات فى تلك الأيام أي أمام حرب الفجار الرابعة وأخذ أخوة جثامة بن قيس مكانه[٦].

أما بني أسد بن خزيمة فكان عليهم بشر بن أبى خازم الشاعر وعلى بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة عمرو بن قيس.

أما الأحابيش فقد إشتركوا كلهم فى هذه الحرب[١]، وكان عليهم الحليس بن يزيد وسفيان بن عويف[٢]، ويبدوا أن بني الديل كانت أيضاً ضمن تشكيل الأحابيش يومئذ حيث كان معاوية الديلي رئيس بني نفاثة بن الديل يوم الفجار[٣]، ولم تحدد هذه المصادر أى معارك الفجار شارك بني الديل بزعامة معاوية الديلي فيها، ولكن من المحتمل أنه شارك فى حروب الفجار الرابعة ابتداءاً من يوم شمطة التى شارك فيها الأحابيش كلهم[٤]، ومن

(١)ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٧٠.

(٢)ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٧٢.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ٥ ص٣٤٩ ؛ ابن حجر: الإصابة ، جـ٦ ص٢٥٨.

(٤)ابن حبيب: السابق ، ص١٧٠.

المعلوم أن بني نفاثة بن الديل من الأحابيش[١]، كما أن بني بكر بن عبد مناة الذين منهم بني الديل قد شاركوا أيضاً فى هذه الحرب.

و كان على الجبهة الأخرى من هوازن وثقيف وحلفائهم مايلي:-

كان على بني جشم وبني سعد بن بكر: الخيسق[٢] الجشمى، وعلى ثقيف وهب بن معتب بن مالك وأخوه مسعود وعلى بني نصر بن معاوية أو أسماء بن الضريبة وعطية بن عطيف وسبيع بن ربيعة.

وعلى بني عامر بن بيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب: سلمة ابن إسماعيل[٣] أحد بني البكاء ومعه خالد بن هوذة أحد بني الحارث ابن ربيعة

وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة: ربيعة بن أبى ظبيان بن ربيعة بن أبى ربيعة بن نهيل بن هلال بن عامر وعلى الأبناء أبناء صعصعة سلمة بن سعلاء (إسماعيل) أيضاً[٤].

---

(١) البلاذرى: جـ١ ص١٠١ ؛ الأصفهاني: الأغانى ، جـ٢٢ ص٦٤.

(٢) فى الأغانى: الخنيسق. جـ٢٢ ص٦٨.

(٣) فى المنمق ، اسمه سلمة بن سعلاء ، ص ١٧٣

(٤) أبى عبيدة: جـ٢ ص٢٢٥ ؛ المنمق: ص١٧٢-١٧٥؛ الأغانى: جـ٢٢ ص٦٨.

وكان على قيس: ملاعب الأسنة أبو براء وعلى غطفان عوف بن أبى حارثة المري، وعلى بني سليم: عباب بن زعل بن هني بن أنس، وعلى فهم وعدوان: كدام بن عمرو[١]، ويقال إن كعباً وكلاباً لم تحضرها[٢]، ولا شك أنه بذكر كل هذه الأسماء الخاصة بقواد الحرب فى معركة شمطة يتبين لنا ما ستجرى عليه الأحداث فى تلك الموقعة، فبعد أن تم تعيين قواد كل بطن وقبيلة تهيأ الفريقان للتسلح والمسير إلى ميدان المعركة.

لقد كانت كل قبيلة تتولى تسليح المحاربين منها، وهناك من تبرع من ماله الخاص بتسليح من ليس عنده سلاح، مثل عبد الله بن جدعان الذى قام بتسليح ثلاثمائة جندى بأسلحة مختلفة، فقد قدم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف[٣]، وقيل بل جهز مائة رجل بأداة كاملة[٤] بالدروع والرماح والسيوف.

---

(١) ابن الأثير: الكامل ، جـ١ ص٣٣٣.

(٢) الأصفهاني: جـ٢٢ ص٦٧. إلا أن ابن حبيب يرى أن كلاب لم تتخلف عن هذه الحرب لأنهم هم الموتورون ومن قبائل قيس ، لأن عمرو بن عتبة الرجال القتيل الذى لأجله كانت قيام هذه الحرب منهم. ابن حبيب: المنمق ص١٧٤.

(٣) الأصفهاني: جـ٢٢ ص٦٤.

(٤) ابن حبيب: السابق ، ص١٧١.

كما تولت قريش بإطعام المحاربين خاصة الأحابيش، فكانت قريش تطعم الأحابيش ومن إنضم إليهم لنصرتها الخزير[١]، وهو طعاماً كان معروفاً عند قريش خاصة هو والسخينة[٢]، وكانت قريش تعير بالسخينة لأكل الخزير[٣].

وقبل المسير إلى المعركة جعلت القيادة العليا مجتمعة فى يد حرب ابن أمية[٤]، وقيل حرباً وابن جدعان[٥]، وتحركوا إلى عكاظ، وعلى إحدى الجانبين ابن جدعان، وفى الأخرى هشام بن المغيرة، وحرب ابن أمية فى القلب[٦] وقد أعطى حرب ابن أمية بعض التعليمات لجيشه وطلب منهم تنفيذها، حيث طلب من بني كنانة وبعض الأحابيش أن يبقوا فى بطن الوادى القريب من شمطة

(١) هو اللحم ، يقطع صغاراً فى الخزيرة فى القدر ثم يطبخ بالماء الكثير والملح ، فإذا أحيت طبخاً وضع عليه الدقيق فعصد به ، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم فإن لم يكن فيها لحم فهى عصيدة. ابن منظور جـ٣ ص٨١، قيل أن جدعان هو الذى تولى إطعام المحاربين أيضاً. ابن بكار: المصدر السابق ،جـ٢ ص٦٥٠.

(٢) دقيق يلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو يحسى ، وهناك أخرى تصنع من دقيق وسمن. ابن منظور: جـ٤ ص٥٢٧.

(٣) ابن حبيب: المنمق، ص٢٠٦؛ ابن منظور: لسان العرب ، جـ٤ ص٥٢٧.

(٤)ابن حبيب: السابق ، ص١٧٢.

(٥)ابن حبيب:المحبر ، ص١٩٣.

(٦) الأصفهانى: الأغانى ، جـ٢٢ ص٦٨.

التي فيها المعركة وقال لهم: لا يبرحوا مكانهم ولو هزمت قريش[١].

أما قيس وهوازن وحلفائهم، فقد تجمعت قيس واستعانت بثقيف وجمعوا الجموع وقادوا الخيول وكانت خيلهم كثيرة يومئذ، سار فى ثقيف مسعود بن معتب ووهب بن معتب فاستجلبا ثقيفاً ومن أطاعهما وبعثت قيس فى كل قبيلة من قيس رجلاً ليستجلبها، فكان فى بني عامر أبو براء، وكان فى جشم دريد بن الصمة ولكن فى بني نصر سبيع بن ربيعة وفى سليم عباب بن حى الأصم الرعلي، فإجتمعوا ونزلوا عكاظ قبل قريش بيومين[٢]، وكادت تقع حرب فيما بينهم لإختلافهم فى تعيين قادة الجيش إلا أنه تم حسم الأمر بأن جعلوا أبا براء ملاعب الأسنة قائداً على بني عامر، وعلى بني نصر وسعد بن بكر وثقيف مسعود بن معتب اليقفى وأمره إلى سبيع بن ربيعة، وكان على غطفان عوف بن حارثة المري، وعلى بني سليم عباس بن حي الرعلي؛ وعلى فهم وعدوان كدام بن عمير[٣].

وقد ظلت قيس ومن معها فى عكاظ يومين ولم تأتِ قريش والأحابيش بعد، فظنوا أن قريشاً لن تأتي وتراهنوا على ذلك، فما

---

(١)الأصفهانى: المصدر السابق ،ج٢٢ص٦٨ ؛ ابن واصل: ق٢ جـ٣ ص٢٢٦٥.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٧٥.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٧٥.

لبثت كتائب قريش أن بدأت تتوافد، ثم أخذ الفريقان فى الإستعداد وتسوية الصفوف إيذاناً ببداية المعركة، وكان أول شيء تم هو خروج الحليس بن يزيد سيد الأحابيش داعياً أي أحد من الجانب الآخر لمبارزته، فخرج إليه أبو حرب بن عقيل بن خويلد من بني كعب بن ربيعة، فتطاعنا ساعة حتى كسر العقيلى عضد الحليس بن يزيد ثم تحاجزا، وتحصد الناس بعضهم إلى بعض فاقتتلوا قتالاً شديداً[١] ولا شك أن موقف الحليس سيد الأحابيش لدليل على شجاعة وإقدام الأحابيش وقادتهم، وليس معنى أن عضد الحليس قد كسرت أن ذلك يقلل من شأنه، والبراز أو المبارزة قبل اشتباك الجيش كان من عادة العرب فى بعض الأحيان، وكان لا يتقدم إلى المبارزة إلا المعدودين بالشجاعة والجرأة والإقدام فى الحروب، حتى أنه من شروط المبارزة والدعوة إليها كان لا يدعو إليها إلا الرجل الذى يعرف نفسه بالجلد فعندئذ يدعوا إلى البراز[٢]، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك يكتفي الباحث بذكر مثال واحد ، فإن أُبي بن خلف قد دعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد إلى البراز، فبرز إليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقتله[٣].

---

(١)ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٧٥.

(٢) أبى يعلى: الأحكام السلطانية ، تحقيق محمد الفقى ، مكتبة الحلبى، القاهرة ، ط٣١ ١٩٨٧م ص٤٥.

(٣) أبى يعلى: الأحكام السلطانية ، ص٤٦.

و على كل حال بعد البراز يتقدم الجيشان فإما أن يترامـوا بالنبل أو يشتبكا، ففى معركة شمطة اشتبك الفريقان بعد مبارزة الحليس مباشرة، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً، وكان النصر فى أول النهار لقيس على كنانة، وإنهزمت من قريش بنو زهرة وبنو عدي، وقتل معمر بن حبيب ورجال من بني عامر بن لؤي، فإنهزمت طائفة من قريش وثبت حرب بن أمية وإخوته وسائر قبائل قريش والأحابيش[١]، وكانت بني بكر لما رأت إنكشاف قريش إنسحب بلعاء بن قيس ومن معه من بني بكر إلى جبل يسمى رخم[٢] وكان بني الحارث بن عبد مناة دون باقي الأحابيش منتظرين فى بطن الوادى، ولم يشتركوا فى القتال بناءً على أمر حرب بن أمية، لكن لما إنسحبت بني بكر تقدم بني الحارث بن عبد مناة، وإشتركت فى القتال وأبدوا ضروباً من الشجاعة والبسالة فى القتال حتى قتل يومئذ تحت رايتهم مائه رجل[٣].

وقيل إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أبدى هو الآخر من الشجاعة ما لفت إليه نظر ابن جدعان فكان رسول الله " صلى الله عليه وسلم " لا يصير فى فئة إلا انهزم من يحاذيها، فقال حرب بن

(١) ابن حبيب: السابق ، ص١٧٧.

(٢) أبى عبيدة: السابق ، جـ٢ ص٢٥٥.

(٣) ابن حبيب: السابق ، ص١٧٨.

(٣) الأصفهاني:الأغانى ، جـ٢٢ ص٦٩.

أمية وعبد الله بن جدعان، ألا ترون إلى هذا الغلام ما يحمل على فئة إلا إنهزمت ؟[١].

و بمشاركة بني الحارث الأحابيش فى المعركة كان لها أثراً كبيراً فى تحول مجريات أحداث المعركة، والنتيجة التى آلت إليها، فقد قتل تحت رايتهم كما سبق القول مائة رجل وإنهزمت ثقيف وبنو عامر وقتل من بني عامر وحدها يومئذ عشرة.

وبعد قتال شديد بين الطرفين إنتهت المعركة، خلّف الطرفان كثيراً من القتلى والجرحى، وإنتهت المعركة لصالح هوازن وانهزمت قريش ومن معها، وقيل لم يقتل من قريش أحد يذكر[٢]، وإنصرف المتحاربون على أن يستعدوا للجولة القادمة في العام المقبل.

معركة العبلاء (عكاظ):

كانت هذه الحرب بعد مضى عام من معركة شمطة، وسميت بالعبلاء لاندلاع القتال عند جبل العبلاء بجانب عكاظ[٣].

وكان القواد فى هذه الحرب هم نفسهم الذين كانوا فى معركة شمطة ولم تذكر المصادر شيئاً كثيراً عن تفاصيل هذه المعركة،

---

(٢) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٥ ص١٨٦.

لكن لا شك أن هذه الحرب كانت شديدة أيضاً حيث لم يتخلف عنها أحد من الذين شاركوا فى معركة شمطة سوى من قتل من الفريقين، وقد إنتهت هذه الحرب بإنتصار هوازن على كنانة، وقتل يومئذ العوام ابن خويلد والد الزبير بن العوام على يد مرة بن معتب الثقفى[1] ولكن هناك بعض أبيات الشعر قالها خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة وهو من شعراء قيس المجيدين فى الجاهلية[2]، وعدَّه بن سلام من الطبقة الخامسة من الشعراء، وقد قتلت قريش أبوه فى أيام الفجار[3]، وفى الأبيات التى قالها خداش فى يوم العبلاء بعض الملامح عن سير المعركة وما آلت إليه، فمن ذلك قوله: -

ألم يبلغك ما لقيت قريش وحي بني كنانة إذ أبيروا
دهمناهم بأرعن مكفهر فظل لنا بعقوتهم زئير

و قال أيضاً: -

ألم يبلغك بالعبلاء أنا ضربنا خندفاً حتى استقادوا
ونبني بالمنازل عز قيس وودوا لو تسيح بنا البلاد.

---

(١) الفاسى: المصدر السابق ، جـ٢ ص١١٢.

(١) ابن عبد ربه: جـ٥ ص٢٥٧

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٣م جـ٢ ص٦٣١ ، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر ، دار المدنى جدة د.ت جـ١ ص١٤٣-١٤٤.

(٣) أبى عبيدة: السابق ، جـ٢ ص٢٥٦.

يوم شرب: -

تعتبر هذه المعركة من أشد المعارك التي خاضتها قريش والأحابيش في الجاهلية عامة وفى حرب الفجار خاصة، وسميت هذه المعركة بشرب، نسبة إلى شرب أحد الأماكن بعكاظ، وكانت هذه المعركة شديدة الأهمية واستماتت فيها قريش والأحابيش، فبعد هزيمة قريش فى معركة العبلاء قبل عام من معركة شرب، وكانت قواد قريش والأحابيش هم نفسهم قواد المعارك السابقة، إلا من قتل منهم كالعوام بن خويلد، وقد استعدت قريش جيداً لهذه المعركة، وقد حمل ابن جدعان وحده من الجنود ألفاً على ألف بعير[1] وأخذت قريش والأحابيش على أنفسهم العهد ألا يفروا ولا يحدث لهم مثل الذى حدث من قبل فى يوم العبلاء، ولعل ذلك يتضح من لبس حرب بن أمية درعين وكذلك سفيان بن حرب، وقيد حرب بن أمية نفسه ولبس أبو العاص درعين وقيد نفسه أيضاً ومعهم العباس بن عبد المطلب قيد نفسه كدليل على الاستماتة فى القتال وقالوا: لن نبرح حتى نموت أو نظهر عليهم[2] فسموا لذلك بالعنابس والعنابس هو الأسد وقيل إن العنابس هم من بني أمية خاصة حرب وأبو

(١) الفاكهى: جـ٥ ص١٨٧.

(٢) ابن حبيب: السابق ، ص١٧٧.

حرب، وسفيان وأبوسفيان[١] ويضاف إليهم عمرو وأبو عمرو وبنوا أمية، لأنهم شبهوا بالأسد فى حرب الفجار[٢].

وقد قام الفريقان بتسوية الصفوف، وقيل أن الحليس بن يزيد قد طالب فى هذه المعركة من يبارزه فخرج إليه الحدثان بن سعد النصرى فطعنه الحدثان فدق عضده وتحاجزا[٣]، ويبدوا أن هذه المبارزة غير التى قام بها الحليس يوم شمطة، وعلى كل حال اشتد القتال بين الفريقين، وقاتلوا قتالاً شديداً، فهرب من هرب وثبت من ثبت على القتال، وحافظت بني مخزوم على توقفهم، خاصة بنوالمغيرة فإنهم صبروا على القتال وأبلوا بلاءً حسناً[٤] كما أبلى الأحابيش بلاءً حسناً فى القتال وأسرفت قريش والأحابيش فى قتل أعدائهم حتى لاذت قيس بالفرار، واستجادوا ببيت سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف زوجة مسعود بن معتب الثقفى، فلما إنهزمت قيس دخلوا خبائها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية جيرانها، فكان كل من يريد الإبقاء على نفسه يدخل الخباء، وظلت قيس تتوافد على خباء سبيعة حتى أخرجوها منه، فخرجت فنادة: من تعلق بطنب من أطناب بيتى فهو آمن فى ذمتى، فداروا بخبائها

(١) ابن الكلبي: جمهرة النسب ، ص٣٨.

(٢) الزمخشري: المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٧٠.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ، جـ٢٢ ص٧١-٧٢.

(٤) ابن واصل: تجريد الأغاني ، ص٢٢٦.

حتى صاروا حلقة فأمضى ذلك كله حرب بين أمية لعمته، فكان يضرب فى الجاهلية بدار قيس المثل[١].

ولكثرة القتلى فى قيس واتباعها فرت قيس كلها إلا بني نصر فإنهم صبروا ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دهمان، فلم يغنوا شيئاً، فعقل نفسه ونادى يا آل هوازن، يا آل نصر، فلم يأتِ إليه أحد ومضوا فى فرارهم[٢]، وبعد إنتصار قريش والأحابيش الساحق قرر الفريقان وقف الحروب الطاحنة المشتعلة بينهم.

يوم الحريرة:-

هو آخر أيام حرب الفجار الرابعة، وسمي بيوم الحريرة نسبة إلي حرة بين الأبواء ومكة قرب نخلة[٣]، وقد إشترك فى هذه الحرب الذين شاركوا فى سائر الأيام السابقة من حرب الفجار الرابعة ،وكان قادتها هم نفس القادة في الأيام السابقة إلا من توفى منهم ، فقد مات بلعاء بن قيس قبل وقوع معركة الحريرة فتولى مكانة أخيه جثامة بن قيس قيادة بني بكر[٤] والذي سبق وأن فر من قبل، وقد كان القتال فى هذا اليوم شديداً إلا إنه لم يقتل من قريش عدد كبير، فقد قُتل يومئذ أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية،

(١)الأصفهاني:الأغانى ، جـ٢٢ ص٧٢-٧٣.

(٢)الأصفهاني:المصدر السابق ، جـ٢٢ ص٧٢.

(٣) الحموي: جـ ٣ ص١٤٢.

(٤) ابن عبد ربه: جـ٥ ص٢٥٩.

كما قتل ثمانية رهط من بني كنانة قتلهم عثمان بن أسد من بني عمرو بن عامر بن ربيعة، كما قُتل ورقاء بن الحارث أحد بني عمرو بن عامر من بني كنانة وخمسة نفر[١].

وقد كان القتال أصبح عادة لهم فى هذه الأيام حتى إن الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجل والرجلين فيقتل بعضهم بعضا، ومن ذلك قيام ابن محمية بن عبد الله الديلي بقتل زهير بن ربيعة أبا خداش الشاعر الذى سبق عرض شعره فى يوم العبلاء، وكان قد جاء معتمراً إلا أن ابن محمية الديلي قتله[٢].

ثم تداعى المتحاربين على الصلح على أن يَدي من علية فضل فى القتلى الفضل إلى أهلة، فأبى ذلك وهب بن معتب وإندس إلى هوازن وأغاروا على بني كنانة وكثر القتلى فى الطرفين، عندئذ قرروا الصلح، وتم الإتفاق على إحصاء كل طرف لقتلاه، ومن يكون قتلاه أكثر يتم تقديم الفدية له، فاستوثق أبو براء ملاعب الأسنة من رؤساء قيس وسبيع بن ربيعة عن قتلاهم، ثم تم الإستيثاق من حرب ابن أمية وابن جدعان وهشام المغيرة، وعدوا القتلى فوجدوا لقيس فضل عشرين رجلا قودتهم[٣]، وحتى تضمن هوازن وقيس الحصول على الدية من قريش قام حرب بن أمية

(١) الأصفهانى: الاغاني ، جـ ٢٢ ص٧٥.

(٢) الأصفهانى: المصدر السابق ، حـ٢٢ ص٧٦.

(٣) ابن حبيب: المنمق ، ص ١٨٠-١٧٩.

برهن ابنه أبا سفيان، ورهن الحارث بن كلدة العبدى ابنه النصر، ورهن سفيان بن عويف سيد الأحابيش ابنه الحارث[١] ضمن أربعين رجلاً من فتيان قريش[٢]، وقيل إن هوازن لما رأت رهائن قريش بأيدهم رغبوا فى العفو فأطلقوهم[٣]، وقيل أن الذى ودى القتلى هو حرب بن أمية[٤].

وبالصلح بين الطرفين وضعت الحرب أوزارها لتنتهي هذه الحرب الضروس التي راح ضحيتها خيرة شباب ورجال وأشراف العرب، ثم عقد بعد ذلك حلف الفضول بعد المنصرف من حرب الفجار.

أما عن البراص بن قيس الذي تسبب فى هذه الحرب، فقيل إن قيساً أرادت القبض عليه وأن تدفعه لهم فى كنانة إلا أنهم رفضوا[٥].

---

(١) العصامي: حـ١ ص ٢٤٢.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٨٠ ؛ الأصفهانى: الأغاني جـ٢٢ ص٧٧.

(٣)الأصفهانى: الأغاني ، جـ٢٢ ص٧٧.

(٤) تزعم بنى كنانة أن القتلى الفاضلين قتلاهم وأنهم ودوهم ، ولكن أشهر الآراء ما سبق ذكره ، وأن حرب بن أمية هو الذى وداهم فيما تروى قريش، الأصفهانى: الأغاني ، جـ٢٢ ص٧٨.

(٥) أبى عبيدة: جـ٢ ص ٢٦١. يقال أن البراض قدم مكة باللطيمه، وكان يأكلها وكان عامر بن يزيد بن الملوح بن عمر الكناني نازلاً فى أخواله من بني نميربن عامر ، وكان متزوجا فيهم فهمت بنو كلاب بقتلة فمنعته بنو نمير ثم شخصوا به حتى نزل فى قومه. الأصفهانى: الأغاني ، جـ٢٢ ص٦٦.

ملاحظات حول حرب الفجار الرابعة:

هناك عدة ملاحظات متعلقة ببعض أحداث حرب الفجار الرابعة بحاجة إلى توضيح، وهذه الملاحظات تتعلق بـ:

١- مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم فى حرب الفجار الرابعة.

٢- عمر النبي صلى الله عليه وسلم فى حرب الفجار الرابعة.

٣- عدد أيام حرب الفجار الرابعة.

٤- القتال فى الأشهر الحرم.

٥- دور ابن جدعان فى حرب الفجار.

ونظراً لكثرة الآراء حول بعض هذه الأمور كان من الأفضل عدم الوقوف أمامها أثناء عرض أحداث حرب الفجار.

أما أولى هذه الملاحظات فهي خاصة بمشاركة النبي -صلى الله عليه وسلم- فى حرب الفجار فهناك قولان:-

القول الأول: يرى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يشارك فى هذه الحرب لأنه لو كان معهم لم ينهزموا[1]، ونسب هذا الرأى إلي الزهري، وحتى لا ننتقد الزهري أو نقل إن هذا الرأى ينسب إليه، فقد رجع الباحث إلي كتاب مغازى الزهري للتحقق من هذا

(١) ابن الأثير: جـ١ ص٤٤٣.

القول، فلم يجد له أي ذكر فى كتاب المغازي الذي بين أيدينا، وربما يكون هذا القول فى أحد مؤلفات الزهري الأخرى أو فى جزء مفقود من المغازى، لأن مغازى الزهري المطبوع والمتداول الآن يبدأ بذكر حفر عبد المطلب لزمزم ولم يتعرض فيه لحروب الفجار أو غيرها من الأحداث المهمة التي سبقت مولد النبي صلى الله عليه وسلم أو سبقت بعثته، وسواء كان هذا القول ينسب للزهري أم غيره، فإن هذا الرأى غير صحيح.

القول الثاني: ويقول أنه شارك، ويكفي قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم عن مشاركته فى هذه الحرب " لقد حضرته مع عمومتي، ورميت فيه بأسهم، وما أحب أنى لم أكن فعلت "[١] كما أنه كان ينبل على أعمامه[٢] أى يرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها.

وكان من بلاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الحرب ما لفت إليه أنظار ابن جدعان وحرب بن أمية متعجبين من تحول الهزيمة التى تكون فيها جهة إلى نصر بعد انتقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها فقالا: ألا ترون إلى هذا الغلام، وما يحمل على فئة إلا إنهزمت[٣] ، كما أنه طعن أبا براء ملاعب الأسنة[٤].

---

(١) ابن سعد: جـ١ ص١٨٢.

(٢) ابن هشام: جـ١ ص١١١.

(٣) أبو عبيدة: جـ٢ ص٢٥٥.

(٤) الأصفهانى: جـ٢٢ ص٧٧.

أما عن المعارك التى شهدها النبي " صلى الله عليه وسلم " فى هذه الحرب، فقيل أن شارك فى كل أيام الفجار الرابعة إلا يوم نخلة[١] وهو أول أيام حرب الفجار الرابعة، أما الملاحظة الثانية فتعلق بعمر النبي " صلى الله عليه وسلم " فى حرب الفجار، فهناك عدة آراء، فقيل أن عمره كان أربع عشرة سنة[٢] واحتجوا بقول منسوب إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال " كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشر سنة[٣]، وقيل كان عمره خمس عشرة سنة[٤]، وقيل عشرون سنة[٥].

وجدير بالذكر أن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ أثناء قيام حرب الفجار الرابعة كان عمره لا يقل عن خمسة عشر سنة ولا يزيد عن عشرون سنة، لأن بعد انتهاء حرب الفجار كان عقد حلف الفضول وقيل إن عُمر النبي وقتها عشرون[٦]، أوخمس وعشرون سنة[٧]، فمن قال أن عمره وقت اندلاع حرب الفجار خمسة عشر سنة يكون عمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عقد حلف الفضول

(١) الأصفهانى: المصدر السابق ، جـ٢٢ ص٧٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ٢ ص٢٩٣.

(٣) ابن عبد ربه: جـ٥ ص٢٥٣.

(٤) ابن هشام: جـ١ ص١١١.

(٥) ابن سيد الناس: عيون الأثر ، جـ١ ص١١٣.

(٦) ابن كثير: السابق ، جـ٢ ص٢٩٣.

(٧) الفاكهى: جـ٥ ص١٩١.

عشرين سنة، ومن قال أن عمر النبي " صلى الله عليه وسلم " يوم قتال حرب الفجار عشرين سنة، فإن عمره يوم حلف الفضول خمس وعشرين سنة، لأن آخر يوم من أيام الفجار كان فى شوال وهو يوم الحريرة خاص أيام حرب الفجار الرابعة، وكان حلف الفضول بعد المنصرف من حرب الفجار فى ذى القعدة[١]" وتجدر الإشارة هنا إلى أن حرب الفجار دامت خمس سنوات، وليس أربع سنوات[٢] كما ذهب إلى ذلك البعض، لأن حرب الفجار الرابعة كانت فيها خمس حروب كل منها كان فى عام.

وخلاصة القول أن عمر النبي " صلى الله عليه وسلم " يوم قامت حرب الفجار الرابعة كان عمره خمسة عشر سنة أو ستة عشر سنة ولعل الدليل على ذلك قول حكيم بن حزام – رضي الله عنه – ابن أخي السيدة خديجة " تزوج رسول الله " صلى الله عليه وسلم " عمتي خديجة وهى ابنة أربعين، ورسول الله بن خمس وعشرين، وكانت أسن منى بسنتين، وولدت أنا قبل الفيل بثلاث وعشرين سنة، وشهدت الفجار وأنا ابن ثلاث وثلاثين سنة "[٣].

---

(١٠) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٨٦.

(٢) لعل الخلاف فى تحديد مدة حرب الفجار من بدايتها إلى نهايتها يرجع إلى إسقاط البعض يوم نخلة من ضمن أيام حرب الفجار الرابعة ، وهناك من جعلها ويوم شمطة يوماً واحداً ، والصواب والله أعلم أنها خمسة أيام فى خمس سنوات.

(٣) البلاذرى: السابق ، جـ١ ص٩٨-٩٩.

وكان حكيم من الذين حضروا يوم الحريرة آخر أيام حرب الفجار الرابعة[١]، وقد قال حكيم أيضاً أنه قد رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حرب الفجار قد حضره[٢] مما يدحض رأي من قال أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يشهد هذه الحرب كالقول المنسوب للزهري أو غيره[٣] محتجين بذلك أنه غير مقبول أن يقال أن النبي " صلى الله عليه وسلم " حضر هذه الحرب وإنهزمت قريش[٤]، أو متعللين فى ذلك أن الله لم يأذن لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هى العليا[٥]، ولا شك أن القولين لا صحة لهما لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد حارب فى أحد وهو نبي وبين أظهر الصحابة وحلت الهزيمة بالمسلمين آخر الحرب، كما أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حرب الفجار لم يكن نزل عليه الوحي حتى يقال أنه كان مؤمناً ولا يجب أن يحارب مع الكفار أم لا، كما أن الدلائل التى ذكرت أنه قد حارب فى الفجار، كانت تدل على شجاعته وإنتصار الجوانب التى يحارب فيها ولكن لا تحسم المعركة لشجاعة أو قوة فرد واحد دون الجماعة.

---

(١) البلاذرى:السابق ،جـ١ ص٢٤٢.

(٢) ابن سعد: جـ١ ص١٨٢.

(٣) السهيلى: جـ١ ص٣١٩.

(٤) ابن الأثير: جـ١ ص٤٤٣.

(٥) السهيلى: جـ١ ص٣١٩.

أما الملاحظة الثالثة فهى متعلقة بعدة أيام حرب الفجار الرابعة، فقد وقع الخلاف بين العلماء فيها، فهناك من جعلها أربعة أيام[١] وهناك من جعلها خمسة أيام[٢] فى أربع سنوات[٣].

وسبب الخلاف بين هؤلاء وأولئك إعتبار أحدهم يوم نخلة ضمن يوم شمطة، فى حين فصل بعضهم بين اليومين وجعل هذا فى عام وذلك فى عام آخر، وبالنظر فى رأي من قال أن حرب الفجار الرابعة كانت أربعة أيام فى كل عام يوم أى مدتها أربع سنوات[٤] فكان أول يوم عنده هو يوم شمطة، وبالنظر فى الرأى الذى حسب يوم نخلة أول حروب الفجار الرابعة فإنه أيضاً حسب مدة حرب الفجار بالخمسة أيام أربع سنوات، وهذا خطأ وقع فيه كل من تحدث عن مدة حرب الفجار وأرى أن الصواب فى مدة حرب الفجار أنها خمسة أعوام وليس أربع لأن من المسلم فيه أن أيام حرب الفجار الرابعة على رأى من قال أنها أربع قال: إن هذه الأيام هى شمطة والعبلاء وشرب والحريرة، أربعة أيام فى كل سنة يوم، فإذا أضفنا إليها يوم نخلة سيصبح عندنا خمسة أيام ومن المعلوم كما سيق القول أن يوم نخلة كان أول يوم من حروب الفجار الرابعة، وبينه وبين يوم شمطة عام، والدليل على ذلك أن

(١) الفاسي: المصدر السابق ، جـ٢ ص١١٢.

(٢) ابن عبد ربه: جـ٥ ص٢٥٩ ؛ جاد المولى: ٣٢٦ -٣٤٠.

(٣) ابن عبد ربه: السابق ، جـ٥ ص٢٥٤ -٢٥٩.

(٤) الفاكهى: جـ٥ ص١٨٥.

قريش لما دخلت الحرم يوم نخلة قالت قيس لهم: يا معشر قريش إنا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ فى العام المقبل[١].

وهذا يدل على أن مدة حرب الفجار الرابعة خمسة أيام فى خمسة أعوام وليس أربعة أعوام.

أما الملاحظة الرابعة فهى متعلقة بالقتال فى الأشهر الحرم، فمن المعلوم أن قريشاً والأحابيش كانوا يعظمون الأشهر الحرم، وكانوا فيها لا يقاتلون ولا يغزون، حتى إن العرب كانوا إذا أرادوا الغزو كانوا يلجئون إلى النسيء ليجدوا حلاً لهم، وذلك كما سبق وأن أشار الباحث لذلك، فلماذا إذاً لجأ الأحابيش وقريش فى هذه الأيام حتى أطلق على حربهم اسم الفجار؟، فيرى الباحث أن السبب الذى دفع قريشاً والأحابيش إلى هذه الحرب هو الدفاع عن النفس وفرضت الظروف عليهم القتال فيها لأن غطفان وقيس من البسل[٢].

والبسل هى ثمانية أشهر حرم كانت تحرمها غطفان وقيس كلها لا يحاربون فيها[٣] على نسق ما كانت تفصل قريش والأحابيش وغيرهم من تحريم أربعة أشهر فى العام، لكن كانت الأشهر الحرم

(١) ابن الأثير: الكامل ، جـ١ ص٤٤٣.

(٢) جواد على:جـ٨ ص٢٧٤.

(٣) ابن هشام: جـ١ ص٦٧.

عند قريش هى أشهر الحل عند السبل وأشهر السبل أو الحرام عند قيس كانت حل عند قريش، فعلى ذلك لا يستبعد أن يكون السبب الذى كانت تقام فيه حروب الفجار الرابعة فى نفس التوقيت تقريباً من كل عام هو حفاظ قيس على أشهرها الحرم ومحاربتها فى الحل بعكس قريش وغيرها من قبائل العرب التى كانت تلجأ إلى النسيء ليحلوا الأشهر الحرم ويحرمون الأشهر الحل.

وهناك قضية متعلقة بالقتال فى الأشهر الحرم فى الإسلام، فهناك من يقول أنه من الحرام القتال فيها وهناك من يقول لا بأس بذلك فكان عطاء بن أبي رباح يرى أنه لا يحل القتال فى الأشهر الحرم لقوله تعالى " **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين** "[١].

أما الشيبانى فيرد على ذلك قائلاً أن هذا منسوخ، ناسخه قوله تعالى " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم "[٢]، يفيد إباحة قتلهم فى كل وقت ومكان..، كما صح أن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " غزا الطائف لست بقين من المحرم ونصب المنجنيق عليها وافتتحها فى صفر[٣].

---

(١) التوبة: آية ٥.

(٢) التوبة: آية ٥.

(٣) الشيباني: شرح السير الكبير ، جـ١ ص٦٧-٦٨.

أما الملاحظة الخامسة فمتعلقة بمشاركة بن جدعان فى هذه الحرب، فابن جدعان هو من الشهرة بمكان لا يجعلنا نقدم عنه موجزاً ومختصراً لحياته حتى ما وصل إلى ما وصل إليه، لكن الذى يهمنا هو فضله فى حروب الفجار، فقد قدم ابن جدعان أشياء كثيرة فى حرب الفجار، لم يسبقه أحد إليها، فقد سأل معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – رجلاً قد حضر حرب عكاظ (الفجار) قائلاً: من أين تعاد القوم خروجهم إلى عكاظ ؟ قال: فى دار ابن جدعان، قال فمن أين أخرجت السلاح ؟ قال من دار ابن جدعان، قال: فمن أطعم الناس ؟ قال: ابن جدعان، قال: ما أسمع الأمر كله إلا لابن جدعان[١] فابن جدعان قدم فى يوم شمطة ثاني أيام حرب الفجار الرابعة مائة درع ومائة رمح ومائة سيف[٢] قيل إنه جهز بهم مائة رجل[٣]، كما قدم فى يوم شرب رابع أيام حرب الفجار الرابعة ألف بعير حمل عليها ألفاً[٤].

ولعل أهم شيء اتصف به ابن جدعان هو الأمانة وعدم الغدر، فعندما علمت قريش بما حدث لمقتل عروة الرحال، جاء حرب بن أمية إلى عبد الله بن جدعان وطلب منه أن يحتجز سلاح هوازن التى كانت مودعة عند ابن جدعان إلا أن ابن جدعان رفض وقال

(١) ابن بكار: المصدر السابق ، جـ٢ ص٦٥٠.

(٢) الأصفهانى: جـ٢٢ ص٦٤.

(٣) ابن حبيب: ص١٧١.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص١٨٢.

أبالغدر تأمرني يا حرب؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به ولا رمح إلا طفت به ما أمسكت منها شيئاً[1]، وبمثل هذه الصفات كان يتحلى العرب، فها هو النبي " صلى الله عليه وسلم" كان مشركى قريش يودعون عنده أموالهم وأماناتهم وهو مسلم وهم مشركون، وبالرغم من ذلك كان النبي " صلى الله عليه وسلم" يحافظ عليها، وعندما همَّ النبي " صلى الله عليه وسلم" بالهجرة إلى المدينة أعلم علياً بن أبى طالب – رضى الله عنه – بالأمانات التى فى منزله " صلى الله عليه وسلم " وأوصاه بردها لأصحابها.

(١) أبى عبيدة: السابق ، جـ٢ ص٢٥٣.

الفصل الثالث

العرب والنظام العسكري في الجاهلية وصدر الإسلام

" والذى نفس الحليس بيده لتخلد بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد "

(الحليس بن علقمة)

لما ظهرت الدعوة المحمدية إلى الدين الإسلامي بمكة، ووجدت قريش أن الدين الجديد يهدد مصالحها وينال من آلهتها الوثنية أخذت قريش وبعض حلفائها يتصدون للدعوة الجديدة، وأخذوا يصبون غضبهم على المسلمين خاصة من لا عصبية له، وظل الأمر ما يقرب من ثلاث عشرة سنة، والنبي ـصلى الله عليه وسلمـ والمسلمون يتحملون تعذيب قريش لهم، حتى أذن الله للنبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، وهناك نزل الإذن بالقتال، وكانت أول آية نزلت في القتال[١] قوله تعالى (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)[٢].

ولما نزلت أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله[٣]، وهناك يجب أن ننتبه أن الأذن بالقتال أول نزوله لم يكن فرضاً وإنما إذناً ثم بعد ذلك فرض الله على المسلمين القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم[٤]، فقال

(١) الطهطاوي: نهاية الإيجاز ، تحقيق / عبد الرحمن حسن محمود، فاروق حامد محمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م ، ص٢٠٥.

(٢) سورة الحج:٣٩.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد ، تحقيق/محمد عيادي ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط١ ٢٠٠٤م ج٢ ص٨١.

(٤) سورة البقرة: ١٩٠.

تعالى (وقاتلو فى سبيل الله الذين يقاتلونكم)[١]، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة قال تعالى (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)[٢] .

ولقد كان القتال محرماً قبل الهجرة وبعدها إلى صفر من السنة الثانية للهجرة، ثم صار هناك إذن فى القتال، ثم أبيح القتال فى غير الأشهر الحرم، ثم أصبح الأمر بالقتال مطلقاً لمن قاتل ومن لم يقاتل فى أى زمن حتى ولو فى فى الأشهر الحرم[٣].

ولقد استقر أمر الكفار مع النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد نزول سورة التوبة على ثلاثة أقسام:-

الأول: محاربون للنبي (صلى الله عليه وسلم) وهؤلاء إذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة.

الثانى: أهل عهد وهم الذين صالحهم النبي (صلى الله عليه وسلم) وواعدهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم وأنفسهم.

الثالث: أهل ذمة، وهم من عقدت لهم الجزية.

---

(١) محمد بن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نشر عبد الرحمن الشيخ ، د.ت ، ص١٠٤.

(٢) سورة التوبة: ٣٦.

(٣) الطهطاوى: المرجع السابق ، ص ٢٠٦.

وهناك من يضيف قسماً رابعاً: وهم من دخلوا فى الإسلام تقيه من القتل وهم المنافقون وكان (صلى الله عليه وسلم) يأمر أن تقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، فكان معرضاً عنهم إلا فيما يتعلق بشعائر الإسلام الظاهرة كالصلاة[١].

وعلى كل حال أن المتأمل لحروب النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته من بعده فى صدر الإسلام يجد أنها كانت نوعين:-

الأولى: حروب المسلمين ضد قريش وفيها من المسموح للمسلمين أن يتعرضوا لقوافل قريش التجارية، لأنهم كانوا فى حالة حرب، وسبق وأن أخرجت قريش المسلمين من ديارهم واستولوا على أموالهم[٢]، ومن الأمثلة على ذلك سرية سعد بن أبى وقاص إلى الخرار فى ذى القعدة على رأس تسعة أشهر من هجرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاعتراض عير لقريش[٣] وغزوة العشيرة فى جمادى الآخرة على رأس عشر أشهر لاعتراض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام[٤]، وكذلك خروج المسلمين لاعتراض

---

(١) بتصرف من المرجع السابق ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) على منصور: الشبهات الواردة فى تعدد الزوجات والحروب والغزوات والحدود ، الإسلام، المؤتمر العالمى الثالث للسيرة النبوية ، ط١ ، ص ٥١٥.

(٣) زاد الميعاد ، ج٢ ، ص ١١٧.

(٤) ابن القيم: المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١١٨.

عير قريش المقبلة من الشام بقيادة أبي سفيان فى رمضان ٢هـ[١] التى انتهى أمرها باندلاع غزوة بدر الكبرى.

أما النوع الثانى من الحروب التى خاضها المسلمون فكانت ضد بعض القبائل العربية من غير قريش كبني الحارث بن عبد مناة[٢] والقارة[٣] وبني المصطلق[٤]، وهم من الأحابيش كما تقدم ذكر ذلك، كما حارب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيرهم من القبائل العربية، والروم والفرس.

وما يهمنا هنا هو موقف الأحابيش من الحروب مع المسلمين فى صدر الإسلام ودورهم فيها، وسيكون الحديث فى الصفحات التالية دور الأحابيش فى الحروب التى قامت ضد الإسلام والمسلمين وموقف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم، ثم دور مسلمي الأحابيش العسكري في صدر الإسلام .

دور الأحابيش فى غزوة بدرالكبرى (الثانية) (٢هـ/٦٢٣م): -

بعد أن أذن الله للمسلمين بالقتال، خرجت عدة سرايا وغزوات لمواجهة المشركين سواء من قريش أو غيرهم من القبائل العربية،

(١) ابن عبد البر: الدرر ، تحقيق عزت زينهم ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، د.ت ، ص ٦٥.

(٢) ابن خياط: المصدر السابق ، ص ٤٦.

(٣) ابن خياط: المصدر السابق ، ص ٤٦.

(٤) عبدالحميد العبادى: صور من التاريخ الإسلامى ، الإسكندرية ، ١٩٤٨م ، ص ١٩

لكن لم تذكر أى من المصادر التى رجع إليها الباحث موقف الأحابيش كقوة حربية من تلك السرايا والغزوات بشئ من التركيز خاصة السرايا التى وجهت إلى حلفائهم القرشيين قبل غزوة بدر الكبرى (٢هـ) وما بعدها، ولعل السبب فى عدم إبراز دورهم أو موقفهم تلك الفترة يرجع إلى عدم حدوث اشتباك وقتال بين المسلمين والمشركين يوضح من شارك فى القتال أو قتل، فى تلك السرايا أو الغزوات[١].

ولم يحدث قتال بين المشركين والمسلمين قبل غزوة بدر الكبرى إلا فى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة قبل غزوة بدر الكبرى بشهرين تقريباً حيث كانت سرية عبد الله بن جحش ـرضي الله عنهـ إلى نخلة بين مكة والطائف ومعه ثمانية رجال من المهاجرين لرصد تحركات وتدابير قريش العسكرية، فمرت عير لقريش تحمل زبيباً وغيره على رأسها عمرو بن الحضرمي، فقرر عبد الله بن جحش وأصحابه – رضوان الله عليهم – قتال المشركين، وبالفعل رمى واقد ابن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وفر الباقون تاركين العير فأخذها المسلمون وعادوا بها للمدينة، إلا أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ أنكر ما فعلوه [٢].

---

(١) أبو بكر الجزائرى: هذا الحبيبُ ، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، د.ت ، ص ١٨٠.

(٢) أبو بكر الجزائرى: هذا الحبيب ،ص١٨١.

على كل حال فى شهر رمضان ٢هـ خرج النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ لإعتراض قافلة كبيرة لقريش قادمه من الشام إلى مكة فيها ثلاثون رجلاً وقيل أربعون رجلاً، عميدهم أبو سفيان بن حرب[١].

وقد أخبر أحد العرب أباسفيان بخروج المسلمين بقيادة النبي ـ صلىالله عليه وسلم ـ لإعتراضهم، فاستأجر أبو سفيان بن حرب رجلاً من بني غفار يدعى ضمضم بن عمرو الغفارى لكي يذهب إلى مكة مستنفراً لهم إلى نصر عيرهم.

فنفر أهل مكة وأشرافهم لنصرة عيرهم وأموالهم ،ولم يتخلف منهم أحد سوى أبي لهب[٢]

ومن الملاحظ أنه لم تكن هناك قوة من الأحابيش مشاركة فى هذه الغزوة مع المشركين من قريش، ولعل السبب فى ذلك هو السرعة فى الخروج لإنقاذ قافلة قريش التى كانت فيها أموالهم، وهناك سبباً آخر وهو وجود تأدبية قريش وبني بكر[٣]، ورغبة بني بكر فى الإستيلاء على مكة أو الإشتراك في أمر مكة مع قريش، وهو الحلم الذى حاول البكريين تحقيقه أكثر من مرة ووقعت

(١) ابن حزم: جوامع السيرة ، تحقيق/ نايف العباس ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٨٦ ، ص ٨٤.

(٢) ابن حزم: جوامع السيرة ، ص ٨٤.

(٣) ابن هشام: ج٢ ، ص ١٦٨.

الحروب بين بني بكر وقريش وحلفائها الأحابيش كحرب المشلل وذات نكيف، ولقد خشيت قريش من الخروج يوم بدر ولما تذكرت ما بينها وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب فقالوا: " إنا لنخشى أن يأتونا من خلفنا"[١] ويعتدوا على أهلهم إلا أن إبليس ظهر لهم فى صورة سراقة ابن مالك، وقال لهم أنا جار لكم من بني كنانة أن يقصدوا أهلكم وذراريكم بسوء[٢].

ولا يستبعد أن تكون قريش آثرت بقاء الأحابيش لحماية ظهرها وأهلها ليقفوا لبني بكر بالمرصاد إن هم قرروا الاعتداء على القرشيين خاصة أن أكثر الرجال قد خرجوا لإنقاذ قافلتهم التجارية.

وسواء كان هذا الاستنتاج هو الذى وراء تخلف الأحابيش عن غزوة بدر الكبرى أو غيره، فليس معنى ذلك أنه لم يكن هناك مشاركة ولو بسيطة من الأحابيش، بل إن هناك من أبدى مشاركته وتأييده لهذه الحرب المتوقع حدوثها، فها هو نوفل بن معاوية الديلي من سادات بني كنانة وسيد بني الديل وهو من الأحابيش مشى إلى أهل القوة من قريش فكلمهم فى بذل النفقة والحملات لمن خرج، فكلم عبد الله بن أبى ربيعة فقال: هذه خمسمائة دينار فضعها حيث رأيت، كما كلم حويطب بن عبد العزى فأخذ من

(١) ابن كثير: ج٣ ، ص ٢٩٥.

(٢) ابن القيم: إغاثة اللهفان ، تحقيق/كامل عويضة ، مكتبة لينا ٢٠٠٢م ، ص ١١٠.

نوفل بن معاوية مائتى ديناراً أو ثلاثمائة ثم قوى بهما السلاح والظهر[١]، ولم يقتصر الأمر على تقديم الأموال فقط، بل تشير أحد المصادر إلى مشاركة نوفل بن معاوية الديلي أحد سادة الأحابيش وقتاله مع قريش بالفعل يوم بدر[٢] مما يدل على تواجد لبعض الأحابيش في تلك المعركة. وهناك مصادر تقول أن والد أبو الأسود الدؤلى كان يحارب فى هذه المعركة أو في أحد مع المشركين وقتل فيها، وهناك من يرى أن أبا الأسود قد شارك بنفسه فى هذه المعركة[٣]، وعلى الناحية الأخرى، فقد شارك من مسلمى الأحابيش الصحابى مسعود بن ربيعة الديلي وكان من أوائل الناس إيماناً بالله ورسوله[٤]، وشارك مع المسلمين فى القتال يوم بدر[٥] وغيرها من الغزوات.

وانتهت هذه المعركة بإنتصار المسلمين ،وهزيمة المشركين، استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، وقتل من المشركين سبعون وأسرَ سبعون[٦]، وقد كان فداء هؤلاء الأسرى أربعة آلاف إلى ما دون ذلك، فمن لم يكن عنده شيء أمر

(١) الواقدى: المصدر السابق ، ج١ ص ٤٧.

(٢) الواقدى: المصدر السابق ، ج١ ص ٦٧ ، ١٢١.

(٣) ابن حجر: الإصابة ، ج٣ ص ٣٠٤.

(٤) ابن عبد البر: الدرر ، ص ١٧ ؛ ابن سيد الناس: ج١ ، ص ١٨٤.

(٥) ابن حجر: الإصابة ، ج٦ ص ٩٠.

(٦) الطهطاوى: المرجع السابق ، ص ٥٠١.

أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة، وذلك كان لمن لم يستطيع أن يفدي نفسه من الأسر فكان من يعلم عشرة غلمان من غلمان المدينة يفدى من الأسر، وكان تخصيص التعليم لغلمان أهل المدينة دون غلمان أهل مكة من المهاجرين لأن أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون[١].

ولا شك أن هذه المعركة وغيرها من السرايا والغزوات تدلنا على عبقرية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحربية ومعرفته لنقطة ضعف قريش التى وظفها فى مواجهتهم وذلك عن معرفة المسلمون لأهمية التجارة والاقتصاد حين وجه الرسول ـصلى الله عليه وسلم - غزوات وسرايا المسلمين كبدر وغيرها لقطع شريان إقتصاد مكة والقبائل العربية الموالية لقريش، والتعرض لقوافلهم التجارية ومراقبة طرق التجارة ووضعها تحت سيطرة وإشراف المسلمين، مما دعا قادة مكة إلى القول قبيل غزوة الحديبية سنة ٦هـ " كنا قوماً تجاراً "، وكانت الحرب قد حضرتنا حتى نهكت أموالنا "[٢].

و هناك رأي للامنس في نتيجة هذه المعركة، فقد رأى أن سبب هزيمة قريش في موقعة بدر الكبرى كان بسبب عدم اشتراك الأحابيش فيها[٣].

---

(١) ابن سعد: المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٧.

(٢)سحرالقواسمى:التجارةودولة الخلافة،جامعة النجاح الوطنية،الأردن ،١٩٩٩، ص١٤٦

(٣) لامنس: الأحابيش، ص ١٣.

لاشك أن هذا تقليل من هنرى لامنس لشأن وقوة الإسلام والمسلمين ولن نقول أن السبب في انتصار المسلمين يرجع إلى قوتهم وإنما نقول أن ذلك يرجع إلى نصر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم آذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون[1]﴾.

و بالنظر إلى الأحداث والمعارك بين المسلمين وقريش والتي اشترك فيها الأحابيش توحي بعكس قول لامنس، ففى موقعة الخندق، وفتح مكة وغيرهما كان الأحابيش ضمن جيش المشركين وأسفرت النتيجة عن إنتصار المسلمين على قريش والأحابيش.

حتى موقعة أحد التى انتهت بهزيمة المسلمين، فكانت الغلبة فيها للمسلمين ولاذ المشركين والأحابيش بالفرار، لولا ترك الرماة مواقعهم، وانتهى الأمر بهزيمة المسلمين ـ كما سيُذكر فيما بعد ـ، ولكن موقعة حمراء الأسد التى كانت تعتبر إمتداداً لموقعة أحد نجد أن قريشاً وحلفاؤها لم يقدروا على مواجهة المسلمين ولاذوا بالفرار.

دور الأحابيش فى غزوة أحد (٣هـ /٦٢٤م):-

لقد أحست قريش بعمق الجراح التى خلفتها موقعة بدر خاصة قتل السادة والأعيان منهم، وقد كانت الخسائر التى منيت بها قريش والقتلى الذين قتلوا منهم عاملاً كبيراً فى إضطراب قريش،

---

(١) سورة آل عمران: أية ١٢٣.

أضف إلى ذلك تهديد طريق تجارتها إلى بلاد الشام الذى أصبح تحت سيطرة المسلمين[١]، قد دفعت هذه الأسباب قريش إلى الرغبة فى الانتقام من المسلمين والتجهيز لقتالهم والأخذ بالثأر لهم وقد كانت الرغبة فى الإنتقام فى أعقاب معركة بدر مباشرة، فيروى أن نوفل بن معاوية الديلي أحد سادة الأحابيش -وكان قد شارك فى غزوة بدر مع المشركين- قد بلغه أن قريشاً بكت على قتلاها ، فقدم نوفل إليهم يحرضهم على إعادة الكرة على المسلمين قائلاً: " يا معشر قريش لقد خفت أحلامكم وسفه رأيكم وأطعتم نسائكم ومثل قتلاكم يبكي عليهم ؟ هم أجل من البكاء مع أن ذلك يذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه فلا ينبغي أن يذهب الغيظ عنكم إلا أن تدركوا ثأركم من عدوكم "[٢].

وكان لكلام نوفل صدى واسع فى نفوس بعض سادة قريش أمثال أبي سفيان، الذى أيد رأى نوفل بن معاوية فى ضرورة الثأر من النبي محمد وأصحابه[٣]، ونذر أبو سفيان أن النساء والدهن عليه حرام متى يطلب ثأره من محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه[٤]" وحاول أبو سفيان ومن معه من قريش مواجهة

---

(١) أحمد عرموش: قيادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) السياسة والعسكرية ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩١ ، ص ٥٥.

(٢) الواقدى: المصدر السابق ، ج ١ص١٢١.

(٣) المصدر السابق ، ج ١ص١٢١.

(٤) الواقدى: ج١ ، ص ١٨٨ ؛ ابن حبان: السيرة النبوية ، ص١٥٣.

المسلمين فجهزوا حملتين ضد المسلمين قبل غزوة أحد كغزوة السويق، وكانت بعد بدر بشهرين وأيام[١] وبحران فى ربيع الآخر ٣هـ [٢]، كما وجه النبي سرية بقيادة زيد بن حارثة لإعتراض قافلة لقريش فى جمادى الأولى، واستولى عليها المسلمون بعد أن أفلت أعيان قريش المصاحبين لهذه القافلة، وكانت الأموال كثيرة فى هذه القافلة حتى أن خمس الغنائم التى وزعها النبي (صلى الله عليه وسلم) على من شهد هذه السرية، كانت عشرين ألفاً [٣].

ولا شك أن هذه الخسائر التى تكبدتها تجارة قريش بالإضافة إلى قتلاهم فى بدر كانتا المحرك الأساسى لرغبة قريش فى الانتقام من المسلمين وتعويض خسارتهم التجارية.

لذا ليس من العجب أن يقوم أصحاب القافلة التجارية التى كان أبو سفيان قد نجح فى توصيلها بسلام إلى مكة ووضعها فى دار الندوة عندما خرج المسلمون لاعتراضها قبيل اندلاع معركة بدر أن يستعملوا مال تلك القافلة فى التجهيز لمحاربة المسلمين[٤]، وكان فى هذه القافلة ألف بعير، وخمسون ألف دينار، إلا أن أبا سفيان رد إلى أهل العير رءوس أموالهم، وأخرجوا أرباحهم من

(١) ابن عبد البر: الدرر ، ص ٩٥.

(٢)ابن عبد البر: المصدر السابق، ص ٩٣.

(٣) ابن حبان: المصدر السابق ، ص ١٥٨.

(٤) أحمد عرموش: قيادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ص ٥٦.

هذه القافلة وخصوصها للتجهيز للحرب القادمة فكانت الأرباح التي أخرجوها خمسة وعشرين ألف دينار[١] ثم قاموا باستنفار حلفائهم معهم إلى هذه الحرب خاصة الأحابيش الذين كانت تستخدمهم قريش في كثير من حروبها[٢] وفي ذلك يقول الصحابى كعب بن مالك:

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم إلى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والقتل لاقيها
جمعتموها أحابيشاً بلا حسب أئمة الكفر غرّتكم طواغيها[٣]

وكانت النية مبيته من قريش قبل عام من تاريخ غزوة أحد لعد العدة لهذه الحرب، فيروى أن خثيمة أبو سعد بن خيثمة صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "يا رسول الله إن قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب فى بواديها ومن تبعها من أحابيشها، ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا فيحصروننا فى بيوتنا وصياصينا، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا فيجزئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترئ علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا إذا

(١) الشامى: المصدر السابق ، ج٤ ص ٢٧١.
(٢) الندوى: السيرة النبوية ، دار القلم ، د.ت ، ص٧٥.
(٣) كعب بن مالك: الديوان ، ص ١١٢.

رأونا لم نخرج إليهم....."[١]، وفى هذا يدل على نية قريش فى الإعتداء على المسلمين من بعد هزيمتهم فى بدر، ورغبتهم فى تشجيع باقي القبائل العربية فى شن هجماتهم على المسلمين.

وعلى كل حال عند ما قررت قريش المسير إلى حرب المسلمين وقاموا بتحريض العرب على المسلمين، كان فى مقدمة الذين حرضتهم قريش جماعة الأحابيش خاصة من بني عبد مناة بن كنانة فعندما قررت قريش المسير إلى حرب المسلمين ويستنصروا العرب قالوا عن بني عبد مناة أنهم غير متخلفين عن قريش فى حربها وهم أوصل العرب لأرحامهم ومن اتبعهم من الأحابيش[٢].

وكانت قريش قد عيّنت أربعة نفر من قريش لكي يسيروا فى العرب يدعونهم إلى نصرهم فبعثوا عمراً بن العاص، وهبيرة بن أبي وهب وابن الزبعرى وأبا عزه عمرو بن عبد الله الجمحى الذي أطلق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سراحه من الأسر يوم بدر لأنه كان فقيراً ذا عيال وحاجه[٣]، ولم يكن أبا عزة يريد مشاركة قريش فى حربها إلا أنه أمام إلحاحهم عليه قد وافق على الخروج لإستنصار العرب، فقد كلمه صفوان بن أميه وسأله أن يخرج إلى

(١) الواقدى: ج١ص ١٩٥.

(٢) الواقدى: ج١ ، ص ١٨٦.

(٣) الواقدى: ج١ ، ص ١٨٦ ؛ ابن هشام ، ج٣ ، ص ١٦.

بني الحارث ابن عبد مناة سادة الأحابيش ليسألهم النصر، فخرج أبو عزه إلى بني الحارث يحرضهم على الخروج مع قريش قائلاً لهم:

أنتم بنو الحارث والناس الهام أنتم بنو عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكم حام لا تعدونا نصركم بعد العام
لا تسلمونا لا يحل إسلام[1]

كما وجه حديثه أيضاً إلى أهل تهامة من بني كنانة قائلاً: -

أنتم بني عبد مناة الرزام أنتم حماة وأبوكم حام
ولا تعدوني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحل إسلام[2]

ولا شك أن هذا الشعر، وقول قريش عن بني عبد مناة أنهم أوصل العرب لأرحام قريش، وقولهم عن بني الحارث وبني كنانة أنهم رزام أى أشداء فى القتال لا يهربون من الحرب دليل كافٍ لإثبات عروبة الأحابيش وليس كما ادعاه لامنس وغيره من أنهم حبش.

---

(١) الزبير بن بكار: السابق ، ج٢ ، ص ٨٩٦ ، والرزام " جمع رزام وهو الذى يثبت ولا يبرح من مكانه يريد أنهم يثبتون فى الحرب ولا ينهزمون. الخشنى: شرح السيرة النبوية ، المكتبة الإسلامية ، بتركيا ، د. ت ، ص ٢١٥.

(٢) ابن هشام: ج٣ ، ص ١٦.

لم تكتفي قريش بهذا الفرع من الأحابيش بل دعت بني مالك ابن كنانه وهم من الأحابيش أيضاً، تدعوهم لحرب المسلمين فقال مسافع بن عبد مناف الجمحى لبني مالك بن كنانة:-

يا مال [١] مال الحسب المقدم أنشد ذا القربى وذا التذحم

من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد لمحرم[٢]

كما خرجت ثقيف بمائة رجل منهم ليشاركوا الحرب مع قريش والأحابيش خرجوا بعدتهم وسلاحهم[٣].

و نجحت قريش في تكوين جيشاً يقرب من ثلاثة آلاف مقاتل تقريباً كان الأحابيش ألفين من هذا الجيش[٤]، وكانوا إما حاسرين غير مرتدين الدروع، أو مقنعين، وفى ذلك يقول الصحابىكعب بن مالك:-

فجئتنا إلى هوج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف وعن نصيه ثلاث مئين إن كثرنا وأربع[٥]

---

(١) مال: أى "بني مالك" وحذفت الكاف للترخيم.

(٢) المصدر السابق ،: ج٣ ، ص ١٦.

(٣) الواقدى: ج١ ، ص ١٨٩.

(٤) الطبري:تفسير الطبري، تحقيق/ عبدالله التركي، هجر للطباعه والنشر، ط١ ٢٠٠١م، ج١ص ١٧٠؛ السيوطى: لباب النقول، المكتبة التوفيقية، د.ت، ص ١٥٨.

(٥) كعب بن مالك: الديوان ، ص٦٠.

وكان عدد المسلمين ألفاً ثم أصبحوا سبعمائة بعد إنسحاب عبد الله بن أُبى بن سلول بثلاثمائة من أتباعه[١]، ثم عقد المشركين ثلاثة ألوية فى دار الندوة، لواء يحمله سفيان بن عويف لبني كنانة، وسفيان هذا كان من قادة الأحابيش يوم الفجار الرابع[٢]، كما حمل الأحابيش لواءً ثانياً، أما اللواء الثالث فحمله طلحة بن أبى طلحة[٣]، ولقد إدعى لامنس أن الأحابيش ـ الأحباش كما يدعى ـ كان لهم راية خاصة بهم يحملونها في الحرب[٤].

لاشك أن هذا القول مبالغ فيه، صحيح أن الأحابيش - موضوع الدراسة- كانت لهم راية خاصة بهم في غزوة أحد[٥]، وليس الأحباش ويبدو أنه قد أساء فهم العبارة التى في كتب السيرة والتى تقول أن صوأب الحبشي غلام لبني أبى طلحة قد رفع اللواء، فإنه لم يرفعه إلا بعد أن قتل كل من كان يحمله فتقدم صوأب وحمله حتى قتل[٦].

ويقال إنه لم يكن هناك إلا لواء واحد مع طلحة، لكن الصواب ـوالله أعلمـ أنهم ثلاثة ألوية، لأن الأحابيش كانوا يمثلون ثلثي

---

(١) ابن سعد: ج٢ ص ٥٤ .

(٢) ابن حبيب: المنمق ، ص ١٧٢.

(٣) الواقدى: ج١ص ١٨٨ ، الحوفى: المرجع السابق ، ص ١٩٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٣٨.

(٥) أحمد محمد الحوفي: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة. ط١، ١٩٥٢م ، ص ١٩٢.

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣ ص٣٠.

الجيش كما كان لهم لواء يحملونه منذ حروبهم فى الجاهلية[١]، كما أنه كان مع المسلمين فى أحد ثلاثة ألوية، اللواء الذي حمله مصعب ابن عمير[٢]، ولواء مع الأوس وأخر مع الخزرج، وبعد أن تم تقسيم الألوية وتَجَهز الجيش، همّ جيش المشركين بالخروج بعد أن إستقسم أبوسفيان عند هبل، وخرج السهم الذى سمح فيه هبل ـ في إعتقادهم ـ بالخروج للحرب[٣]

وقرر المشركون أن يأخذوا معهم النساء إلى الحرب، إلا أن نوفل بن معاوية الديلي نصح قريش بألا يصطحبوا النساء فى الحرب خشية أن تكون الدائرة عليهم ويقعوا فى الأسر إلا أن بعض النساء كهند بنت عتبة صممن على الخروج مع الجيش[٤]، فخرجت قريش عندئذ بحدها وجدها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها من كنانة وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وألا يفروا[٥]، وكنّ خمسة عشر إمرأة، هن هند بنت عتبة وأميمة بنت سعد بن وهب بن أشيم الكنانى وهن زوجات أبي سفيان، برزة بنت مسعود الثقفى وهى والدة عبد الله الأكبر بن

---

(١) ابنَ حبيب: المنمق ، ص ١٧٨.

(١٠) الطهطاوى: المرجع السابق ، ص ٢٥.

(٣)القسطلانى: المواهب اللدنية ، تحقيق صالح الشامى ، المكتب الأسلامي ، بيروت، ط٢ ٢٠٠٤،ج١ص٤٠٥.

(٤) الواقدى: المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٨٧.

(٥) ابن هشام: ج٣ ، ص ١٦.

صفوان، الذى وفد على معاوية بن أبي سفيان فى خلافته وحدثه عن الأحابيش[١]، كما خرج صفوان أيضاً بامرأته البغوم بنت المعدل بن كنانة، وخرجت أيضاً سلافة بنت سعد بن شهيد زوجة طلحة بن أبي طلحة الذى حمل لواء قريش يوم أحد، كما خرجت أم جهيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن أبى جهل، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة زوجة الحارث بن هشام، هند بنت منبة بن الحجاج زوجة عمرو بن العاص، كما خرجت خناس بنت مالك بن الخضرى، مع ابنها أبى عزيز بن عمير العبدرى، وخرجت رملة بنت طارق بن علقمة مع زوجها الحارث بن سفيان بن عبد الأسد، وخرجت أم حكيم بنت طارق زوجة كنانة بن على بن ربيعة بن عبد العزى، خرجت قتيلة بنت عمرو بن هلال زوجة سفيان بن عويف قائد الأحابيش يوم الفجار كما خرجت والدة النعمان وجابر ابنا مسك الذئب وهما من الأحابيش كما خرجت عمرة بنت الحارث بن علقمة زوجة غراب بن سفيان بن عويف[٢]، وهى وزوجها من الأحابيش، وكان لها دوراً كبيراً فى إنتصار المشركين بأحد فقد حملت لواء المشركين، عندما ظل صريعاً لا يجرؤ أحد على التقدم لحمله، بل أنها كانت قد شاركت فى القتال ، فيروى عن الصحابى أبي دجانة سماك ابن خرشه أنه يوم أحد

(١) الزبير بن بكار: المصدر السابق، ج٢ ص ٨٧٥.

(٢) الواقدى: ج١، ص ١٨٨. ويقال إن زوجة عمرو بن العاص اسمها ريطة بنت منبه وليس هند كما قال الواقدي. ابن هشام: ج١، ص ١٧.

قال: إنى لأنظر يومئذ - أى يوم أحد - إلى إمرأة تقذف الناس وتحوشهم حوشاً منكراً، فرفعت عليها السيف، وما أحسبها إلا رجلاً، قال: وأكره أن أضرب بسيف رسول الله إمرأة، والمرأة عمرة بنت الحارث[١].

هذا وقد خرج من الأحابيش كما سبق القول ألفين، من بني الحارث ابن عبد مناة، وبني نفاثة بن الديل، وبني مالك بن كنانة، كما شارك بنو المصطلق وهم من الأحابيش أيضاً فى هذه الحرب[٢].

وأبرز من شارك من قادة الأحابيش فى غزوة أحد، نوفل بن معاوية الديلي، وسفيان بن عويف ومعه عشرة من ولده[٣]، النعمان بن مسك الذئب وأخوه جابر بن مسك الذئب[٤]، والحليس بن علقمة[٥].

---

(١) الواقدى: ج١ ، ص ٢٢٩.

(٢) العمرى: السيرة النبوية الصحيحة ، أضواء البيان ، د.ت ، ج٢ ، ص ٤٠٥.

(٣)الواقدى: ج١ ، ص ١٨٨ ؛ ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ،ط٢، ١٩٦٧م،ج١٤ص٢١٧.

(٤) الواقدى: ج١ ، ص ١٨٨.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق ،ج٤ص٤٠.

ويقال أنه إشترك مع المسلمين فى أحد بعض أتباع النجاشى من الأحباش[١]، وتقدر أحد المصادر عددهم بأربعين من أصحاب النجاشي، وكانوا قد قدموا على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فشهدوا معه أحداً، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة فَأذَنِ لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين[٢]، فأنزل الله فيهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) إلى قوله (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)[٣].

وعلى كل حال خرجت قريش ومن معها من الأحابيش وحلفائهم إلى المسلمين وأخذت النساء يحرضن الرجال قائلات:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

(١) سامية منيسي: إسلام النجاشي، دار الفكرالعربى ، القاهرة ، ط١ ،٢٠٠١ ص٧.
(٢) السيوطى: رفع شأن الحبشان ، ص ٢٩.
(٣) سورة القصص: (٥٢ ، ٥٤).

وينسب هذا الشعر إلى إمرأة من بني شيبان قالت يوم قضة وهو من أيام بكر وتغلب ابني وائل ويدعى يوم التخالق: " إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق، فراق غير وامق "[١].

وطارق المقصود هنا هو الكوكب أو النجم ، وسمى طارقاً لأنه يطلع ليلاً ، وكل من أتاك ليلاً فقد طرقك[٢].

وقد تمثلت به هند بنت عتبة، وقيل رملة بنت طارق وأم حكيم بنت طارق ذلك، وقد رأت السيدة عائشة – رضى الله عنها – بنات طارق بن المرقع من كنانة، فقالت: كذب الذى قال " إن الخيل أحسن من النساء "[٣]، وعلى ذلك يكون المقصود بطارق إما النجم لرفعته وأنه لا ينال، أو بنات طارق بن المرقع الكنانى، ولقد كان هذا الشعر راسخاً فى الأذهان حتى أن هند بنت عتبة – رضى الله عنها – لما أسلمت وإشتركت فى الفتوح أيام الخليفة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – كانت مصاحبة للجيش فقالت هذه الأبيات لتحميس الرجال[٤]، كما قالت هند أيضاً في أحد:

وبها بني عبد الدار وبها حماة الأدبار

---

(١) البلاذرى ، ج١ ، ص ٣١٧.

(٢) ابن قتيبة: أدب الكاتب ، تحقيق/ محمد محى ، دار الطلائع ،القاهرة د.ت، ص ٦١

(٣) البلاذرى: ج١ ، ص ٣١٧ ؛ المحبي ، ج١ ، ص ٣٨٢.

(٤) ابن أعثم: الفتوح ، ج١ ، ص ٢٦٠.

ضرباً بكل بتار[١]

وكما اشتركت النساء فى أحد مع المشركين، إشتركن أيضاً المسلمات فى جيش المسلمين لخدمة الجنود المسلمين وتطبيبهم وتحارب أيضاً أمثال السيدة أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية من الخزرج، شهدت ليلة العقبة، وأحداً، والحديبية، ويوم حنين، ويوم اليمامة[٢]، فقد خرجت في جيش المسلمين تسقي الظُماء وتأسو الجرحى، وقاتلت وأبلت بلاءً حسنا فقد احتملت قوسها وذهبت تصول وتجول بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم، تنزع عن القوس وتضرب بالسيف، وكانت لا تري الخطر يدنو من رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ حتى تكون سداده وملء لهوته حتى قال ـصلى الله عليه وسلم ـ: ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني[٣].

وعلى كل حال لما اقترب جيش المشركين وجيش المسلمين وأصبح القتال وشيكاً إستعد الطرفان للقتال، ولن يخوض الباحث في تفاصيل الأحداث، بل سيكون التركيزعلى إبراز دور الأحابيش

(١) ابن هشام: ج٣ ، ص ٢٢.

(٢) محمد المقدم: المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلين ، دار ابن الجوزى ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص ٥٥٢.

(٣) محمد المقدم: المرآة ، ص ٥٥٣.

لأنهم هم المعنيين بموضوع الدراسة، وما غيرذلك من أحداث فهي مذكورة فى كثير من أمهات الكتب لمن يريد الإطلاع عليها.

أما عن دورالأحابيش فى سير أحداث المعركة، فكان أول من أنشب الحرب أبو عامر بن عبد عمرو بن صيفي الذى كان يسمى فى الجاهلية بالراهب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق، فقد إشترك فى خمسين من قومه الأوس ويقال خمسة عشر ذهبوا معه إلي مكة، وذلك عند التجهيز للقتال فى مكة، ولما أصبح الإشتباك وشيكاً بين المسلمين والمشركين، قاد أبو عامر الناس خمسين رجلاً من الأحابيش وعبدان أهل مكة وقومه، فلما خرج إلى معسكر المسلمين نادى يا معشر الأوس أنا أبوعامر، فقالوا:لا أنعم الله بك عينا يا فاسق، بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سمع ردهم عليه قال، لقد أصاب قومي بعدى شر، ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة[1]" ثم أشتد القتال بين المسلمين والمشركين وأبلى الفريقان بلاءً حسنا، وأظهر كل منهم تفانيه فى القتال، وكانت الغلبة للمسلمين قد أظهرهم الله على عددهم وسقطت ألوية المشركين حملها يقرب من عشر رجال كلما يحملها رجلاً منهم يقتل حتي حمل اللواء صؤاب الحبشي،

(١)ابن هشام: جـ٣ صـ٢٢ ؛ الشامي: ج٤ ، ص٢٨٤

وهو أخر من حمل اللواء من الرجال، وقد قتله علي بن أبى طالب، وقيل قزمان[١]، وقيل سعد بن أبي وقاص.

فقال الصحابي حسان بن ثابت فى قتل حملة لواء المشركين:

تسعة تحمل اللواء وطارت ... فى رعاع من القنا مخزوم
وأقيموا حتى أبيدوا جميعاً ... فى مقام وكلهم مذموم
بدم عاتك وكان حفاظاً ... أن يقيموا إن الكريم كريم
لم يولو حتى أذيلوا جميعاً ... والقنا فى نحورهم محطوم
وقريش تلوذ منا لواذاً ... لم يقيموا وخف منها الحلوم
كرهت حملة العواتق منهم ... إنما يحمل اللواء النجوم[٤]

ولما رأت قريش اللواء قد سقط ولم يتقدم أحد لحملة لاذوا بالفرار منهزمين، حتى خاطرت عمرة بنت علقمة الحارثة من الأحابيش فتقدمت بكل بسالة وشجاعة ورفعت اللواء مرة أخرى، وفى تلك الأثناء ترك أكثر الرماة المسلمين أماكنهم لجني الغنائم مخالفين أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بألا ينزلوا من الجبل مهما كانت الأسباب، إلاأن أكثر الرماة لما رأوا المشركين فروا،

(١) ابن سعد: ج٢ ، ص ٥٧.
(١) الواقدي: ج١ ص٢٠٦

وفرت النساء يشتدون على الجبل قد بدت خلاخيلهم وسوقهن رافعات ثيابهن[١].

ولما رفعت عمرة بنت علقمة اللواء بصر سيف الله خالد بن الوليد الرماة قد تركوا مكانهم ، فقام – رضى الله عنه – بحركة التفاف حول المسلمين وتحولت الهزيمة التى نزلت بالمشركين لنصر، وأخذ المشركين يقتلون المسلمون، وفر أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنه، ولا يلوون على شئ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول إلى يا فلان أنا رسول الله، فما يعرج عليه أحد، وظل الأمر كذلك حتى تجمع إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثمانية ،ثلاثة من المهاجرين، وهم: علي والزبير وطلحة، وخمسة من الأنصار وهم أبو دجانة ،والحارث بن الصمة والخباب ابن المنذر، وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف، كلهم بايعوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الموت فلم يقتل منهم أحد، وقيل كانوا خمسة عشر رجلاً[٢] ، ولقد أشاد الصحابى حسان بن ثابت بموقف عمرة وحملها اللواء وعلق عليه إنتصار المشركين قائلاً:

إذا عضل سيقت إلينا كأنهم جداية شرك معلمات الحواجب

---

(١) البلاذرى: ج١١ ، ص ١٣٧.

(٢) ديوان حسان بن ثابت: ص ٩٠-٩٢.

أقمنا لهم ضرباً مبيراً منكلاً وحزناهم بالطعن من كل جانب

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون فى الأسواق بيع الجلائب[١]

وقال أيضاً:-

عمرة تحمل اللواء وصدت عن صدور القنا بنو مخزوم[٢]

ولقد برز دور العديد من الأحابيش فى هذه المعركة، فمنهم من قتل ومنهم من قتل، فقد قتل نوفل بن معاوية الديلي وهو من الأحابيش وبعض من المسلمين هم عنترة مولى سليم بن عمر بن حديده، وقيل حليف بني تميم بن كعب بن سلمة[٣]، كما قتل أيضاً " عمرو بن قيس" من بني النجار[٤]، ولقد تعاهد أربعة رجال على قتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم عبد الله بن شهاب وعتبة بن أبى وقاص وأبى بن خلف وابن قمئة، وابن قمئة هذا قيل إنه من بني الحارث بن عبد مناة الأحابيش، وقد رمى أحد المشركين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيل أن الذى رماه هو

(١) ابن حجر: الإصابة ، ج٥ ، ص ٤٠.

(٢) البلاذري: ج١١، ص١٣٧.

(٣) ابن حجر: الإصابة ، ج٥، ص٤٠.

(٤)الواقدى: المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٧.

ابن قمئة وقيل بل عتبة ابن أبى وقاص[١]، والصواب أنهما الاثنان حاولا قتل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أما عتبة بن أبى وقاص ، فقد رمى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأربعة أحجار فكسر حجر منها رباعية النبي اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى[٢]، أما عبدالله بن قمئة فقد شج وجنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته وعلاه بالسيف وكان عليه درعان فوقع ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حفرة أمامه على جيشه وهو من الحفر التى عملها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون وأغمى عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذ على بن أبى طالب بيده ورفعه طلحة حتى استوى قائماً[٣]، ويقال أن أبى قمئة لما رمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقمأك الله، فسلط الله تعالى عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة[٤].

---

(١) موسى بن عقبة:المغازى ، جمع وتحقيق/ محمد باقشيش ، المغرب ، ١٩٩٤م ، ص١٩١؛ البيهقى: دلائل النبوة،تحقيق عبدالمعطي قلعجي،دار الريان، القاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ١٩٨٨ ، ج٣ ص٢١٥.

(٢) الشامى: المصدر السابق ، ج٤ ص ٢٩٤.

(٣) الشامى:المصدر السابق ، ج٤ ص ٢٩٥.

(٤) القسطلانى: المواهب اللدنية ، ج١ ، ص ٤٠١.

كما قام عبد الله بن شهاب الزهرى بشج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى وجهه وسال الدم من الشجة[١] أما أبى بن خلف فقد حاول قتل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أن النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ خدشه بحربته خدشاً غير كبير، فقال: قتلنى والله محمد، فمات بسرف وهم قافلون إلى مكة [٢] ويقال إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقتل أحداً إلا أُبي بن خلف.

ويقال أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـلما تفرق عنه أصحابه تقدمت إليه كتيبة من بني عبد مناة بن كنانة الأحابيش فيها ما يقرب من خمسين فارساً فيها بنو سفيان بن عويف، وهم: خالد بن سفيان وأبو الشعثاء بن سفيان، وأبو الحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا على أكفنى هذه الكتيبة فحمل عليها وهو راجل على قدميه فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منها، ممن لا يعرف بأسمائهم[٣]، كما قَتل الصحابى رشيد الفارسى رجلاً مقنعاً من بني كنانة يقول أنا ابن عويم[٤]، وفي نهج البلاغة ابن عويف[٥] ـ

(١) الشامى: ج٤ ص ٢٩٤.

(٢) ابن حبان: المصدر السابق ، ص ١٦٥.

(٣) ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة،ج١٤ص٢٥٠.

(٤) الواقدى: ج١ ص ٢٣٠.

(٥) ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ، ص ١٥٣٧.

وهوالصواب- فيعترض له سعد مولى حاطب فضربه ضربة جزلة باثنتين، ويقبل عليه رشيد فيضربه علىعاتقه فقطع الدرع حتى جزله باثنتين، ثم تقدم أخ له يعدو كأنه يقول: أنا ابن عويم (عويف)، فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه[١].

وإنتهت المعركة بهزيمة المسلمين، ثم أخذ المشركين يمثلون بقتلى المسلمين، فقامت هند بنت عتبة والنسوة اللائي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجدع الأذان والأنف، وبقرت هند كبد حمزة بن عبد المطلب – رضى الله عنه – فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها[٢].

كما قام أبو سفيان بزج رمحه فى شدق حمزة بن عبد المطلب ويقول ذق عقق "أى ذق جزاء خطئك ياعاق "، فمر عليه الحليس بن ذيان سيد الأحابيش وهو يضرب فى شدق حمزة، فقال: يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحماً، فقال: ويحك اكتمها عنى فإنها كانت زلة[٣].

ويقال إن أبا سفيان بعد ما مثل ببعض أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجد عوا ومنهم من بقر بطنه، فقال أبو

(١) الواقدى: ج١ ، ص ٢٣٠.

(٢) القسطلانى: المصدر السابق ، ج١ ص ٤٠٥.

(٣) ابن كثير: ج ٤ ص ٤٠.

سفيان: "إنكم ستجدون فى قتلاكم بعض المثل فإن ذلك لم يكن عن ذوى رأينا ولا سادتنا" ثم قال أبو سفيان: أُعْلُ هبل، فقال عمر بن الخطاب: الله أعلى وأجل[١].

وهكذا إنتهت معركة أحد ولعب فيها الأحابيش دوراً كبيراً، وقُتل من الأحابيش من قُتل.

أما ما ادعاه لامنس من أن دور الأحابيش في عزوة أحد كان لحراسة المتاع[٢]، فهو قول غير صحيح، فيكف يقتصر دور الأحابيش في هذه الغزوة على حراسة المتاع وعدم الاشتراك في الحرب بجانب قريش التي كانت تستأجرهم للمحاربة عنهم ـ كما يدعى ـ كما أن الأحابيش في تلك الفترة كانوا يقدرون بثلثي جيش المشركين، فقد كانت قواتهم تبلغ ألفين[٣] ـ مع التحفظ على قوله بأنهم حبش وهذا غير صحيح ـ، كما حاول لامنس أيضاً أن يقول بأن مراد الطبري بقوله يوم أحد اجتمعت قريش بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة[٤] بأن الأحابيش هم من الحبش، وإدعائه هذا ليس له أساس من الصحة.

دور الأحابيش فى غزوة حمراء الأسد (٣هـ/٦٢٤م): -

---

(١) الزهرى: المغازى النبوية ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨١ ، ص ٧٧ ، ٧٨.

(٢) لامنس: المرجع السابق ، ص ٢٣، ٥٤٦.

(٣) السيوطى: لباب النقول في أسباب النزول، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص١٥٨.

(٤) لامنس: المرجع السابق ، ص ٥٣٤.

لم تكن غزوة أحد آخر المعارك التى وقعت بين المسلمين وقريش ومن معها من الأحابيش، ولم تكن آخرمعركة أو حرب يشارك فيها الأحابيش مع قريش ضد المسلمين، ففي اليوم الثانى من وقعة أحد أخذت قريش نشوة الإنتصارعلى جيش المسلمين وقرروا العودة إلى المدينة لإستئصال شأفة المسلمين[١]، فلما علم النبي ـصلى الله عليه وسلمـ بالخبر أمر المسلمين بالتجهيز للخروج، وكان الأمر مقصوراً على من شهد أحد بالأمس، وسار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرهباً للعدو حتى بلغ حمراء الأسد، وهو موضع على بعد ثمانية[٢] وقيل عشرة[٣] أميال عن يسار الطريق المتجه إلى ذى الحليفة[٤]، وقد مر النبي ـصلى الله عليه وسلم- فى طريقه بمعبد بن أبى معيد الخزاعى، وكان مشركاً إلا أنه أبدى أسفه لهزيمة المسلمين يوم أحد[٥]، لأن أكثر خزاعة مشركها ومسلمها كانوا يتجسسون للنبىـ صلى الله عليه وسلم ـعلى ما يحدث فى تهامة[٦] وتذكر بعض المصادر أن معبد قد أخبر قريش بتحرك المسلمين إليهم، ومن المحتمل أن يكون معبد قصد بذلك إخافة قريش والأحابيش من خروج المسلمين لهم ومحاولة إثناء قريش والأحابيش عن

(١) الشامى: ج٤ ، ص ٤٣٨.

(٢) البكرى: ج٢ ، ص ١٠٠ ؛ الحموى: ج٣ ، ص ١٨١.

(٣) ابن سعد: ج٢ ، ص ٦٧.

(٤) البكرى: ج٢ ، ص١٠٠ ؛ ابن سعد: ج٢ ، ص ٦٧.

(٥) الواقدى: ج١ ، ص ٢٨٧.

(٦) ابن هشام: ج٣ ، ص ٤٨ ، ويستبعد من الذين كانوا عيبة نصح للنبى (صلى الله عليه وسلم) من خزاعة ، بنى المصطلق الذين شاركوا فى الحرب ضد المسلمين فى أحد وبنى المصطلق.

عزمهم لقتال المسلمين،ولقد كان لإخبار معبد قريشاً خبر خروج المسلمين أن خشية قريش المسلمين فقرروا العودة لمكة قبل أن يلقاهم المسلمين بعد أن نصحهم صفوان ابن أمية بذلك[١].

أما عن دور الأحابيش فى هذه الغزوة فلم تذكر أياً من المصادر التى تم الرجوع إليها ذكراً للأحابيش فى هذه الغزوة لكن من المعقول والراجح أن الأحابيش قد ظلوا مع قريش يستمتعون بنصرهم على المسلمين، بالإضافة لعدم استغناء قريش عن الأحابيش الذين كان لهم دوراً كبيراً فى إنتصارهم خاصة بعد أن قامت عمرة الحارثية برفع اللواء مما جعل المشركين يعودون إلى المعركة مرة أخرى بعد فرارهم، وقد سجل الصحابى حسان بن ثابت هذا الموقف، معلقاً إنتصار قريش وعدم وقوعهم فى الأسر إلى موقف عمرة قائلاً:-

و لولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائب[٢]

كما أن المدة بين انتهاء معركة أحد وخروج النبي ـصلى الله عليه وسلم ـلملاقاة قريش بحمراء الأسد لم تتجاوز يوماً، وهى فترة قصيرة جداً لا يعقل أن يعود خلالها الأحابيش إلى ديارهم

(١) الواقدى: ج١ ، ص ٢٨٧.

(٢) ديوان حسان بن ثابت ، ص ١٧٢.

وهم منهوكون من عناء المعركة،فكانوا يحتاجون فترة ولو يوماً للاستراحة والاحتفال بالنصر قبل العودة إلى ديارهم مرة أخرى.

ولم يحدث اشتباك بين المسلمين وقريش ومن معها من الأحابيش فى حمراء الأسد، إلا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـظفر بأبوعزه الذى خرج إلى الأحابيش بتهامة لتأليبهم على المسلمين، وقد سبق وأن عفا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـعنه ببدر، وحاول أبو عزة أن يستعطف النبي مرة أخرى لكى يعفوا عنه، إلا أن النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ رفض وقال له " إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين " ثم أمر عاصماً بن ثابت بضرب عنقه ففعل[١].

كما ظفر المسلمون أيضاً أثناء خروجهم بمعاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية فأمر النبي بضرب عنقه، ومعاوية هذا هو والد عائشة أم عبد الملك بن مروان[٢]، والذى قتله الزبير بن العوام[٣].

(١) ابن هشام: ج٣ ، ص ٥٠ ؛ الخضرى: الدولة الأموية ، ص ١٤٤.

(٢) ابن حزم: جوامع السيرة، ص ١٤١

(٣) ابن هشام: ج٣ ص ٥٠.

دور الأحابيش فى غزوة بئر معونة والرجيع وسرية عرنة:-

الأحابيش وبئر معونة (٤هـ/٦٢٥م):

لقد كانت هذه الغزوة والرجيع بينهما تشابه سواء فى السبب أووقتهما فقد حدثتا فى شهر صفر فى السنة الرابعة من الهجرة[١]، لذا نرى أن بعض كتاب السيرة قد انقسموا لقسمين، قسم ذكر أحداث بئر معونة قبل غزوة الرجيع[٢]، وقسماً آخر ذكرالرجيع قبل بئرمعونة[٣]، ولا شك أن هناك لبساً بين أحداث الغزوتين حتى أنه ليخيل إلى البعض أنهما غزوة واحدة، وسبب اللبس راجعاً إلى التوقيت الذى حدثت فيه الغزوتان وأحداثهما ،حتىأن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ قد جاءه خبر الغزوتين فى ليلة واحدة، وما حدث فيها للصحابة[٤].

أما بئر معونة فكان سببها أن ملاعب الأسنة أبو براء عامر بن مالك وفد على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقرب هدية له، إلا أن النبي رفضها وقال" إنه لا يقبل هدية من مشرك" فعرض عليه النبي ـصلى الله عليه وسلمـ الإسلام فرفض أبو براء، إلا أنه كان

---

(١) الطبرى: ج٢ ص ٩١ ، ٩٥.

(٢) كالواقدى وتلميذه ابن سعد ، وابن حبان.

(٣) كالزهرى، ابن هشام ، الطبرى ،ابن عبد البر ،الكلاعى ، ابن سيد الناس، ابن كثير.

(٤) الواقدى: ج١ ، ص ٢٩٦.

يرى أن أمر النبي حسن شريف، فعرض على النبي أن يرسل إلى قومه دعاة للإسلام، فخاف النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ في بداية الأمر أن يرسل أحداً ويتعرض لهم أهل نجد، إلا أن أبا براء قال له لا تخف عليهم إنا لهم جار أن يعرض لهم أحد من أهل نجد[١]، عندئذ أرسل النبي ـصلى الله عليه وسلمـ سبعين رجلاً من الأنصار يسمون القراء[٢] يرى الواقدى أنهم أربعون وليسوا سبعين[٣] والراجح والله أعلم أنهم سبعون، وكان فيهم الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وعامر بن فهيرة[٤]، وكتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـمعهم كتاباً وأمرعلى أصحابه المنذر بن عمروالساعدى، فخرجوا حتى كانوا على بئرمعونة، وهو ماء من مياه بني سليم، وهو بين أرض بني عامر وبني سليم[٥].

وعسكر القراء هناك وأرسلوا حرام بن ملحان بكتاب النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ إلى عامر بن الطفيل فى رجال بني عامر، فلما دخل عليه حرام بالكتاب لم يقرؤه، ووثب عامر بن الطفيل

(١) الواقدى: ج١ ، ص ٢٩٤.

(٢) ابن سعد: ج٢ ، ص٧٠.

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٥.

(٤) ابن حزم: ص ١٤٣؛ ابن خلدون: العبر، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠، ج٢، ص ٤٣٨.

(٥) البكرى: ج٤ ص ١٠٦.

على حرام فقتله، ثم استصرخ على باقى القراء بني عامر، فأبوا أن ينفروا معه، فاستصرخ عليهم عصية ورعلاً وذكوان من بني سليم[١]" وكانت رعل من الأحابيش[٢] فنفروا معه، ويعترض أحد الباحثين على أن تكون رعل من الأحابيش[٣]، وقال أنه من المحتمل أن يكون اسم رعل محرفاً عن عضل من بني الهون الأحابيش، وقد سار على رأى هذا الباحث باحثاً آخر[٤]" لكن ليس لديهم أى دليل لقولهم هذا، ولو كان الفاكهى غير موفق فى ذكر رعل ضمن قبائل الأحابيش أو يكون محرفاً عن عضل، لتنبه إلى ذلك من أخذ عنه، وبينوا هذا الخطأ.

وعلى كل حال لما استصرخ عامر بن الطفيل برعل وذكوان وعصية خرجوا لقتال القراء، فحدث بينهم قتال واستشهد القراء السبعون[٥]، ولقد بلغ من هول هذه الفاجعة أن نزل قرآن فى شأن أصحاب بئر معونة " بلغوا قومنا، فقد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه"[٦]، ثم رفع الله هذه الآية، وليست هذه الآية الوحيدة التى أنزلها الله قرآناً ثم رفعها، فهناك عدة آيات أنزلها الله عز وجل ثم

(١) ابن خلدون: العبر ، ج٢ ص ٤٣٨.

(٢) الفاكهى: ج٥ ، ص ١٨٢.

(٣) عبد الله الشريف: الأحابيش ، ص٣.

(٤) على حسن: دراسة لمواقف الأ حابيش ، ص ٥٤ - ٥٥.

(٥) الواقدى: ج١ ص ٢٩٧.

(٦) البخارى: حديث رقم ٤٠٩٥.

رفعها مرة أخرى مثل حذف آية الرجم من القرآن لفظاً، لكن حكمها ثابت بالإجماع[١]، ويشهد بذلك قول عمر بن الخطاب: "إن الله بعث محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها..."[٢]، وهذه الآية كانت تقول " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة "[٣]، ولقد قنت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شهراً يدعو على لحيان ورعل وذكوان وعصية[٤]، وقيل قنت عليهم خمسة عشر يوماً[٥]، والصواب ثلاثون وهو ما ذكره أكثر أهل الحديث والسير والتاريخ ولا شك أن هذه الفاجعة كانت كبيرة، إلا أنه لم يكن كل الأحابيش قد شارك فيها.

الأحابيش وغزوة الرجيع (٤هـ/٦٢٥م):

كانت هذه الغزوة فى صفر ٤هـ، وكان سببها أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد علم أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي قد خرج لقتال المسلمين وكان معه الأحابيش، يمشون وراءه[٦]، ولقد علّق

(١) ابن الجوزى: صيد الخاطر ، ص ٧٤.

(٢) البخارى: حديث رقم ٦٨٣٠.

(٣) ابن الجوزي: صيد الخاطر ، هامش رقم ، ص ٧٥.

(٤) النسائي: السنن، دار الفجر، القاهرة ،٢٠٠٩م، حديث رقم ١٠٧٠؛ النووى: حديث رقم ٦٠٧٥.

(٥) الواقدى: ج١ ، ٢٩٤.

(٦) ابن سعد: ج٢ ، ص ٦٨.

هنرى لامنس على هذا الخبر بأن المقصود بالأحابيش هم سودان أفريقية وليسوا من العرب أحلاف قريش[١]، ولا شك أن هذا الادعاء ليس له أساس من الصحة، خاصة إذا علمنا أن هذيلاً كانت يداً مع قريش والأحابيش[٢]، كما أنه لم يقل بما قاله لامنس أى من علماء المسلمون ولا غيرهم قديماً أو حديثاً.

ولما علم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتحرك سفيان الهذلى ومن معه من الأحابيش انتدب عبد الله بن أنيس ليقتله، وأمره أن ينتسب لخزاعة، وخرج عبد الله بن أنيس وعرف سفيان من الوصف الذى وصفه النبي لعبد الله وانتسب لخزاعه، ومكث بعرنة وهى من ديار هذيل[٣]، حيث لقى سفيان ووراءه الأحابيش، فانتظر عبد الله هدوء الليل ونوم أصحاب سفيان، فقام عبد الله بقتله[٤]، وكان ذلك فى شهر المحرم[٥].

فلما قتل سفيان الهذلى مشت بنو لحيان الهذليين إلى عضل والقارة الأحابيش فجعلوا لهم جعلاً على أن يأتوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويكلموه أن يخرج إليهم نفراً من أصحابه

---

(١) الأحابيش ، ص ٩.

(٢) الفاسى: تحفة الكرام ، ورقة ٢٠٣ب ؛ شفاء الغرام ، ج٢ ص ١١٧.

(٣) الهمذانى: صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٨.

(٤) ابن سعد: ج٢ ، ص ٦٨.

(٥) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج٢ ، ص ٥٩.

يدعونهم إلى الإسلام، وعندئذ يقتل الهذليين من سيرسلهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويذهبون ببعضهم لقريش ليقتلونهم انتقاماً بما قتل منها يوم بدر، ولما جاء وفد من عضل والقارة للنبى ـصلى الله عليه وسلم ـ ولينفذوا ما اتفقوا عليه مع بني لحيان بعث معهم النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ سبعة نفر[١]، وقيل ستة رجال[٢] وقيل عشرة[٣] والراجح أنهم سبعة وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوى وكان أميرهم وخالد بن أبى البكير وعبد الله بن طارق البلوى وأخيه لأمه معتب بن عبيد، وخبيب بن عدى بن بلحارث بن الخزرج وزيد بن الدثنة من بني بياضة وعاصم ابن ثابت بن أبى الأقلح[٤].

ويقال أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد بعثهم عيناً له[٥] ويمكن الجمع بين القولين بأن وفد عضل والقارة جاء للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطلبون منه إرسال من يعلمهم الإسلام، ونقل أخبار هذه المنطقة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويستطلع رغبتهم فى الإسلام حقاً أم إن ذلك كان مكيدة.

---

(١) الواقدى: ج١ ص ٣٠٠.

(٢) ابن حزم: ص ١٤١.

(٣) الواقدى: ج١ ، ص ٣٠١.

(٤) الواقدى: ج١ ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١.

(٥) الزهرى: المغازى ، ص ٦٧.

ولما خرج الوفد الذى أرسله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لديار عضل والقارة، ولما وصلوا ماء الرجيع وكان ماءً لهذيل استصرخ عليهم أصحابهم الذين بعثهم اللحيانيون، فلم يرع أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا بالقوم مائة رام وفى أيديهم السيوف[1] فما كان من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أن لجئوا إلى منطقة مرتفعة من الأرض، فحاصرهم القوم، فقالوا لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلاً، إلا أن عاصم بن ثابت رفعه وقاتل حتى قتل، ولم يبق على قيد الحياة إلا خبيب بن عدى وزيد بن دثنة تم بيعهم بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله، وعندما جاء وقت قتله طلب أن يصلى ركعتين، فكان هو أول من صلى ركعتين عند القتل ثم قال اللهم أحصهم عدداً ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله[2]، وكان من الذين حضروا هذا المشهد من الأحابيش نوفل بن معاوية الديلي فقال:-

" حضرت يومئذ دعوة خبيب، فما كنت أرى أن أحداً ممن حضر يتفلت من دعوته، ولقد كنت قائماً فأخلدت إلى الأرض

(١) الواقدى: ج١ ص ٣٠١.

(٢) الزهرى: المصدر السابق ، ص ٦٧ - ٦٨.

فرقاً من دعوته، ولقد مكثت قريش شهراً أو أكثر وما لها حديث فى أنديتها إلا دعوة خبيب "[١].

ولقد نقل جبريل – عليه السلام – خبر موت خبيب إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان خبر أحداث بئر معونة والرجيع جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ليلة واحدة فدعا رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ على قتلتهم بعد الركعة من الصبح فى صبح تلك الليلة التى جاءه الخبر، فلما قال: " سمع الله لمن حمده " قال:

" اللهم اشدد وطأتك على مُضَراً، اللهم عليك ببني لحيان وزعب ورعل وذكوان وعصية، فإنهم عصوا الله ورسوله، اللهم عليك ببني لحيان وعضل والقارة[٢] وظل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقنت

فى الدعاء شهراً[٣]، وقيل خمسة عشر يوماً ويقال أربعين يوماً[٤]، والصحيح أنه شهراً، حتى نزلت هذه الآية: " ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم ".

---

(١) الواقدى: ج١ ص ٣٠٥.

(٢) الواقدى: ج١ ، ص ٢٩٦ – ٢٩٧.

(٣) النووى: شرح صحيح مسلم ، حديث رقم ٦٧٥.

(٤) الواقدى: ج١ ، ص ٢٩٧.

الأحابيش وغزوة بدر الموعد (الأخرى) (٤هـ/٦٢٦م):-

كان أبو سفيان يوم أحد عند منصرفه نادى على المسلمون يتوعدهم بالحرب فى بدر على رأس الحول من أحد، وقد خرج بالفعل ليفي بكلامه، وقام يجمع العرب للوقوف معه فى هذه الحرب، وبلغت قواته فيها ألفي رجل[١] وعلى الرغم من ذكر اسم الأحابيش فى هذه الغزوة، إلا أنه من غير المستبعد أن يكون الأحابيش، ضمن هذه القوات التى خرج أبو سفيان لدعوة العرب للاشتراك فيها، كما أن الأحابيش كانوا مع قريش فى أحد مما يدعم هذا الرأى، لكن بعد أن خرج أبو سفيان ومن معه فرد العودة مرة أخرى ولم يحارب بحجة أن العام عام جدب[٢].

دور الأحابيش فى غزوة الخندق (الأحزاب) (٥هـ/٦٢٧م):

قيل إنها سنة خمس للهجرة[٣]، وقيل أنها فى سنة أربع[٤]، وقد رجح بعض العلماء أنها سنة أربع واحتجوا فى ذلك بقول ابن عمر–رضي الله عنهما– "ردنى رسول الله يوم أحد وأنا ابن خمس

(١) ابن سعد: ج٢ ، ص٨٣.

(٢) ابن حزم: ص ١٤٧.

(٣) ابن هشام: ج٣، ص ١٢٩ ؛ الطبرى: ج٢ ص ١٠٦.

(٤) موسى بن عقبة: ص ٢١٤ ؛ابن حزم: ص ١٤٨ ؛ابن خلدون: ج٢ ص ٤٤٠.

عشرة سنة"[١] وقد صح أن بين أحد والخندق عام واحد، هكذا دون بعض أهل العلم من علماء التاريخ والسيرة[٢]، إلا أن البعض ذكر أن وقعة الأحزاب كانت بعد وقعة أحد بسنتين[٣]، ولقد تعرض بعض العلماء لهذا الخلاف، أمثال البيهقي الذى خصص باباً فى دلائل النبوة تحت عنوان باب التاريخ لغزوة الخندق " تعرض فيه للآراء والخلافات بين العلماء حول تحديد تاريخ غزوة الأحزاب (الخندق)، كما ذكر ابن كثير والشامي والقسطلاني وغيرهم لهذا الخلاف، وقد خرجوا إلى أنه لا خلاف بين العلماء فى تحديد سنة الغزوة وعُمّر ابن عُمَر يوم الخندق، سواء فى قول من قال إنها كانت فى العام الرابع، ومن قال أنها كانت فى العام الخامس للهجرة وذلك لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاتل يوم بدر بسنة ونصف من مقدمه المدينة فى شهر رمضان، ثم قاتل يوم أحد فى السنة القابلة السنتين ونصف من قدومه المدينة فى شوال، ثم قاتل يوم الخندق بعد أحد بسنتين على رأس أربع سنين ونصف من مقدمة المدينة فمن قال أن الخندق سنة أربع أراد بعد أربع سنين وقبل بلوغ الخمس، ومن قال سنة خمس أراد بعد

(١) الفسوى: المعرفة والتاريخ ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩، ج٣ ، ص ٣٦٣.

(٢) موسى بن عقبة: ص ١٢٤ ؛ابن خلدون: ج٢ ، ص ٤٤٠.

(٣) الزهرى: ص ٧٩.

الدخول فى السنة الخامسة وقبل انقضائها[١]، وقد كان الخلاف يرجع أساساً إلى اختلاف البعض فى تحديد بداية السنة الهجرية، ذهب البعض إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية للهجرة، ولم يعد الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها[٢].

أما إحتجاج البعض بعُمر ابن عمر فى أحد ومقارنته بعمره فى الخندق من أنه عرض على النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه للقتال، ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه[٣]، فقد أجاب عنه بعض العلماء، بأنه عرض يوم أحد فى أول الرابعة عشرة ويوم الأحزاب فى أواخر الخامسة عشرة[٤]، وهو السن الذى يجاز لمثلها الغلمان وهو السن الذى يفرق بين الصغير والكبير[٥].

وأما الشهر الذى كان فيه هذه المعركة فكانت فى شوال، وسببها أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أجلى بني النضير، خرج نفر من اليهود فيهم حيي بن أخطب وهوذة بن قيس الوائلى،

(١) البيهقى: ج٣ ص ٣٩٥.

(٢) ابن كثير: ج٤ ، ص٩٥.

(٣) البخارى: حديث رقم ٤٠٩٧.

(٤) ابن القيم: زاد الميعاد ، ج٢ ص ١٦١.

(٥) ابن كثير: ج٤ ص ٩٦.

وكنانة بن الربيع النضرى فى نفر من بني النضير وبني وائل وأتوا قريشاً بمكة يدعونهم إلى حرب النبي ـصلى الله عليه وسلمـ وقالوا لقريش: " إنّا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ومن معه[١]، وقالوا لقريش أن دين قريش خير من دين محمد وأنهم أولى بالحق من محمد ـصلى الله عليه وسلمـ فقريش هى التى تنحر الكوم وتسقى الحجيج ويعظمون البيت ويعبدون الأصنام التى كان يعبدها آباؤهم[٢].

ولقد شجع ذلك قريش على الخروج لجمع الأحابيش وغيرهم من العرب لمحاربة المسلمون، ومن الذين دعتهم قريش للتكتل ضد المسلمون غطفان وأشجع[٣] والأحابيش، وغيرهم من العرب واليهود.

أما عن سبب تسمية هذه الغزوة باسم الخندق والأحزاب، أما الخندق فنسبة إلى الخندق الذى أشار به الصحابى سلمان الفارسى بحفره حول المدينة، على غرار الخنادق التى كانت تضربها الفرس حول نفسها إذا تعرضت للحصار[٤]، وقد أخذ هذا الخندق فى الاندثار شيئاً فشيئاً، فقد أصبح فى فترة من الزمن

(١) ابن حبان: ص ١٨٨.

(٢) الواقدى: ج١ ص ٣٨٠.

(٣) ابن حبان: ص ١٨٩.

(٤) القسطلانى: ج١ ص ٤٤٦ ،والخندق أول غزوة غزاها سلمان الفارسي(رضي الله عنه) . ابن الجوزى: صفة الصفوة ، ج١ ، ص ١٩٩.

عبارة عن قناة تأتي من عين بقباء إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حول مسجد الفتح، وقد إنطم أثره وتهدمت حيطانه، ثم عفى أثر الخندق فصار مسيله فى موضع الخندق، ولم يتبق من آثاره إلا بواقى لجداره رآه المرجانى فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة من الهجرة قد أراه والده إياه[١]، إلا أن الفاسى وهو من الذين جاءوا بعد المرجانى ذكر أن الخندق قد ظل باقياً حتى عصره، وفيه قناة تأتى عيناً بقباء إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حول مسجد الفتح، وفى الخندق نخل قد أنطم أكثره وتهدمت حيطانه[٢]، وقد استغرق حفر الخندق ما بين خمسة عشر يوماً إلى شهر على خلاف بين العلماء.

أما عن تسميتها بالأحزاب، فذلك يرجع إلى تجمع أحزاب أو طوائف اليهود والمشركين على حرب المسلمين من قريش وغطفان واليهود ومن معهم[٣]، وكان عدتهم ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل[٤]" أما المسلمون فكانوا حينها ما يقرب من ثلاثة آلاف[٥]، وهناك من قال أنهم سبعمائة وهذا وهم[٦].

---

(١) المرجانى: بهجة النفوس والأسرار، مكتبة نزارمصطفى ، الرياض ، ط١، ١٩٩٨م، ج١ص١٧٠

(٢) الفاسي: شفاء الغرام ج٢ ص ٤١٦.

(٣) القسطلانى: ج١ص ٤٤٦.

(٤) ابن هشام: ج٣ ص ١٣٣.

(٥) ابن هشام: المصدر السابق ، ج٣ ص١٣٣.

(٦) الشامى: ج٤ ، ص ٥٢٤.

سيكون الحديث في هذه الغزوة عن تحرك قريش والأحابيش ومن معهم إلى المدينة، ثم دور الأحابيش فى هذه الغزوة، فقد خرج اليهود إلى غطفان ليدعوهم إلى حرب رسول الله وجعلوا لهم تمر خيبر سنة إن هم نصروهم، وأخبروهم أن قريشاً قد تابعوهم على ذلك وإجتمعوا معهم فى الخروج لحرب المسلمين[١]" كما خرجت جماعة أخرى من اليهود إلى بني سليم، فوعدتهم بني سليم أن يخرجوا معهم إذا سارت قريش[٢]، كما أخذت قريش فى التجهيز وسيرت دعاتها فى العرب تدعوهم إلى نصرها وألبوا أحابيشهم ومن تبعهم[٣]، كما سار حيي بن أخطب النضرى إلى كعب بن أسد القرظي الذى كان فى عهد مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان قد تم إبرام عقد للصلح بين بني قريظة وبين المسلمين إلا أن حيي ظل وراء كعب بن أسد حتى جعله يبرأ من العهد الذى أبرمه مع النبي[٤]،كما خرجت بنو سليم وبنو أسد بن خزيمة وبنو فزارة وأشجع وبنو مرة للاشتراك فى هذا التحالف ضد المسلمين[٥].

---

(١) الواقدى: ج١ ، ص ٣٨٠ ؛الشامى: ج٤ ، ص ٥١٣.

(٢) الواقدى: ج١ ص ٣٨٠.

(٣) الواقدي: المصدر السابق ، ج١ ص ٣٨٠.

(٤) ابن هشام: ج٣ ص ١٣٤.

(٥) الشامى: ج٤ ص ٥١٣ - ٥١٤.

وعقدت قريش والأحابيش اللواء فى دار الندوة وخرجوا فى أربعة آلاف وحمل اللواء عثمان بن أبى طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرد وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وهناك روايات تذكر أن قريشاً والأحابيش ومن معهم خرجوا فى عشرة آلاف غير قوات القبائل الأخرى، وهذا غلط، لكن الصواب أن قوات قريش والأحابيش وحدها أربعة آلاف، بالإضافة إلى ستة آلاف من باقى القبائل فيكون عدتهم جميعاً عشرة آلاف، وأسندت القيادة لأبي سفيان[١]، ولحقت بهم بنو سليم بمر الظهران فى سبعمائة مقاتل بقيادة سفيان بن عبد شمس[٢]، وتجهزت كل قبيلة والأحابيش برومة من وادى العقيق[٣]، كما خرجت بنو أسد، وقائدها طلحة بن خويلد الأسدى، وخرجت أشجع وقائدها مسعود بن رخيلة فى أربعمائة مقاتل، وخرج بنو مرة فى أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف[٤]، ونزلت بنو أسد وغطفان ومن تبعهما من أهل نجد ما بين طرق وادى النقمي إلىأحد[٥]، كما جاء اليهود من أسفل المدينة،

---

(٢) ابن سيد الناس: ج٢ ص٨٦.

(٣) الخزرجي: التعريف بما آنست الهجرة ، مخطوط بدار المخطوطات ، القاهرة ، ورقة ٣٩ أ .

(٤) الواقدي: ج١ ص٣٨٠.

(٥) المرجاني: المصدر السابق ، ج١ ص ١٦٨ ؛الخزرجي: التعريف ، ورقة ٣٩أ.

وقد سجل القرآن الكريم هذا التحرك ،قال تعالى: (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم)[١].

وكان وصول والأحابيش وباقالعرب بعد الانتهاء من حفرالخندق[٢].

وأثناء حصار المدينة أرسل حيى بن أخطب إلى قريش لكى يرسلوا منهم ألف رجل ومن غطفان ألف رجل ليغيروا بهم على المدينة [٣]،إلا أن هذا الأمر على ما يبدو لم يتم، ولو تم لاشتراك الأحابيش فى الألف رجل الذين طلب حيى من قريش أن يرسلهم، وكان يتم تراشق بالنبل بين الفريقان[٤] حيث إن قريشاً ومن معها لم يستطيعوا عبور الخندق، حيث لم يعرف العرب هذا النوع من أسلوب الحرب فى الحروب التى خاضوها قبل ذلك وأرى أن الأحابيش كانوا من المشاركين فى التراشق بالنبل قبل أن يحاول المشركين إقتحام الخندق، لأنه كان هناك ذكر لرماة الحدق من بني كنانة فى هذه الغزوة[٥]، ورماة الحدق هم القارة، وكان من ضمن شهداء المسلمون يوم الخندق الصحابى كعب بن زيد

(١) سورة الأحزاب: ١٠.

(٢) القسطلانى: ج١ص ٤٥٢.

(٣) الواقدى: ج١ ص ٣٩٣.

(٤) ابن حبان: ص ١٩٠.

(٥) الشامي: ج٤ ص ٥٤٨.

(١٠) الميداني: ج٢ ص١٢١.

البخارى من الأنصار، فيذكر ابن هشام أنه قتل بسهم غريب لم يعرف من أين جاء ولا من رمى به[١]، ولكن بالتنقيب حول هذه الحادثة تبين أن الذى قتل كعب ابن زيد هو ربيعة بن أمية بن صخر بن يعمر بن نفاثة الديلي[٢].

وبنو نفاثة بن الديل كما سبق القول مراراً من الأحابيش كما أن سيدهم نوفل بن معاوية الديلي كان من المشاركين فى هذه المعركة وهو أحد رؤساء الأحزاب الذين خرجوا للطواف حول الخندق لاستكشافه كأبى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وخالد بن الوليد[٣]، وعمرو بن عبد ود فارس الجزيرة العربية الذى كان يُقَوّم بألف رجل عند أصحابه وعند أعدائه، وقد استطاع أن يعبر الخندق فبارزه على ابن أبى طالب – رضى الله عنه – فقتله بضربه على عاتقه بسيفه[٤]، وكان من الأشعار التى قيلت فى الخندق، والتى جاء فيها ذكر عضل والقارة الأحابيش:

اللهم ألعن عضلاً والقارة فهم كلفونى أنقل الحجارة

---

(١)ابن هشام: ج٣ ص١٥٧.

(٢) البلاذرى: ج١١ ، ص١٠٧.

(٣) الواقدى: ج١ ، ص ٤٠٠ - ٤٠١

(٣) العقاد: عبقرية الإمام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص٩.

(٤) الواقدى: ج١ ص ٣٨٨.

مما يستفاد منه اشتراك عضل والقارة رماة الخندق فى هذه المعركة بالإضافة إلى التنديد بما فعلوه من قبل من قتل المسلمون فى حادثة الرجيع، كما إستخدم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة – رضى الله عنهما – اسم عضل والقارة " ككلمة سر لإعلام النبي ـصلى الله عليه وسلمـ بنقض كعب بن أسد العهد الذى بينه وبين المسلمين " فعندما تأكدا من خبر نقضه العهد أقبلا على النبي فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع[٥].

هذا وقد مكث الأحابيش وقريش ومن معهم خارج المدينة، وفشلت محاولتهم لاقتحام الخندق، ونجح النبي -صلى الله عليه وسلم- فى استمالة عيينة بن حصن الفزارى سيد غطفان فى أن ينسحب بعساكره مقابل نصف ثمار الأنصار[١].

أما الأحابيش وقريش ومن معها دون غطفان ظلوا على مكانهم حتى أرسل اللهم عليهم ريحاً هتكت القباب وكفأت القدور ودفنت الرجال وقطعت الأوتاد ، فأنطلقوا لا يلوى أحد على أحد[٢].

(١) الزهري: ص٧٩.

(٢) ابن سعد: ج٢، ص١٠١.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً)[١]، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال: " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور"[٢].

دور الأحابيش فى غزوة الحديبية (٦ هـ/٦٢٨م):

فى شهر ذي القعدة قرر النبي ـصلى الله عليه وسلمـأن يخرج للعمرة، واستنفر أصحابه للخروج معه ، فأسرعوا وتهيئوا لذلك[٣]. وقد اختلف في عدد الصحابة الذين خرجوا مع النبيـصلىالله عليه وسلمـ، فقيل ألف وستمائة وقيل ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وخمسةعشرة، ويقال ألف وثلاثمائة[٤] وقيل سبعمائة[٥]، واستدل أصحاب هذاالرأي بنحر المسلمين كل بدنة عن عشرة نفر، وكان مع المسلمين عند خروجهم من الهدي سبعون بدنة[٦]، لكن رجح البعض أن عدة الذين خرجوا كانوا ألفاً وأربعمائة، وذلك لاتفاق رأى خمسة من الصحابة وهم جابر بن عبد الله والبراء بن عازب ومعقل بن يسار وسلمة بن الأكوع

(١) ورة الأحزاب الآية ٩

(٢) البخاري: حديث رقم ٤١٠٥.

(٣) ابن سعد: ج٢ ، ص ١٣٥.

(٤) المقريزى: إمتاع الأسماع ، ج١ ص٢١٤.

(٥) ابن هشام: ج٣ ، ص ١٩٧.

(٦) اليعقوبى: ج٢ ، ص ٣٥.

والمسيب بن حزن، وهم من الشهود العيان الذين خرجوا مع النبي ـصلى الله عليه وسلمـفى الحديبية[١].

وبذي الحليفة قلّد رسول اللهـصلى الله عليه وسلمـ الهدى وأشعره[٢] وأمر الصحابة بالإحرام بالعمرة ليأمن الناس من حربه ،وليعلم الناس أنه خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له[٣]، وأرسل النبي ـ صلى الله عليه وسلمـ بسراً بن سفيان الخزاعى ليستطلع أخبار مكة[٤].

ويقال إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يمر بالأعراب فيما بين مكة والمدينة فيسنفرهم فيتشاغلون له بأموالهم وأبنائهم، وهم بنو بكر ومزينة وجهينة، فيقولون فيما بينهم: "أيريد محمد يغزو بنا إلى قوم معدين مؤيدين فى الكراع والسلاح ؟، وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً، قوم لا سلاح معهم ولاعدد، وإنما يقدم على قوم حديث

(١) العمرى: السيرة النبوية ، ج٢ ص٤٣٥.

(٢) أشعره أى وخذ سنامه حتى يسيل الدم فيعلم أنه هدى ، وقد اختلف فى ذلك فالتخفى وأهل الكوف يقولون: إن الإشعار منسوخ بنهيه (صلى الله عليه وسلم) عن المثلة، ويقال إن النهي عن المثلة كان إثر غزوة أحد فلا يكون الناسخ متقدماً على المنسوخ. السهيلي: ج٤ص٤٠ ؛ الشامي: ج٥ص١٢٨.

(٣) الزهرى: ص ٥٠.

(٤) ابن سعد: ج٢ ص ١٣٦ ، وقيل اسمه بشر بالشين. الشامي: ج٥ ص ٦٠.

عهدهم بمن أجيب منهم ببدر"[١]، ويرى الباحث أن هذا الخبر غير صحيح لأن بني بكر كانوا مشركين وقتئذ، فكيف يستنفرهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقتال وهم مشركون؟ كما أنهم قالوا إن محمد وأصحابه ليس معهم سلاح، فغلط لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه قد خرجوا ومعهم سيوفهم وضعوها في أغمادها[٢]، وإن صح هذا الخبر ودعا النبي هؤلاء القوم إلى شيء، فأرى إنما دعاهم للإسلام، كما دعا جماعة من نهد أثناء مسيرة إلى الإسلام[٣]، بالإضافة إلى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد خرج معتمراً ولم يخرج للقتال، أما عن حملهم السيوف فهو للتحرز والحيطة من وقوع أي هجوم مفاجئ ومحتمل من المشركين.

وبعد فترة رجع بسر بن سفيان إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخبره بعلم قريش بتحرك المسلمين وخروجهم، ويروى عن بسر (بشر) كيفية علم قريش بخروج المسلمين، فقد كان بسر يطوف بالبيت وقريش في أنديتها، إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبي قبيس ليلة أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمسير، بصوت أسمع أهل مكة:

---

(١) الواقدي: ج٢ ، ص ٧٢.

(٢) ابن سعد: ج٢ ، ص ١٣٥.

(٣) الواقدي: ج٢ ، ص ٧٢ ؛ الشامي ، ج٥ ، ص ٥٧.

هبوا لصاحبكم مثلى صحابته سيروا إليه وكونوا معشراً كراما
بعد الطواف وبعد السعي في مهل وأن يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوهكم من معشر تكل لا ينصرون إذا ما حاربوا صنما

فارتجت مكة، وإجتمع المشركون، وتعاقدوا ألا يدخل عليهم بمكة فى عامهم هذا، ولما بلّغ بشر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك الخبر، قال إن هذا الهاتف "سلفع شيطان الأصنام" يوشك أن يقتله الله تعالى إن شاء الله عز وجل [1].

ويبدو أن المقصود من قول النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ عن سلفع – إن صح هذا الخبر – يوشك أن يقتله الله، إشارة وبشارة بقرب فتح مكة وهدم الأصنام وسيادة الإسلام والتوحيد فى ربوع شبه الجزيرة العربية وما حولها.

ولما علمت قريش اجتمع رأيها على عدم السماح لمحمد ـصلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه بدخول مكة معتمرين، فتعيرهم العرب أنه قد دخل عليهم عنوة[1]، فقرروا جمع الأحابيش والتهيؤ

(١) الشامى: ج٥ ، ص ٦٠.
(١) الشامي: السابق ، ج٥ص٦١.
(١) الزهري: المصدر السابق ص ٥٠.
(١) جمع عائذ وهي الناقة التي معها ولدها ، ويريد بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمد وأصحابه في زعمهم. السهيلي:ج٤ ص٤١.
(١) أى أظهروا العدواة والحقد. ج٣ ، ص ١٤.
(١) الواقدى: ج٢ ، ص ٧٥.

لحرب المسلمين، وكان اجتماع رأى قريش والأحابيش والتهيؤ لحرب المسلمين وبسربن أبى سفيان بمكة قبل أن يرجع للنبى ـصلى الله عليه وسلمـ ويلقاه فى غدير الأشطاط بالقرب من عسفان[٢]، فلما رآه النبيـصلى الله عليه وسلمـ قال: يا بسر ما وراءك ؟ قال: يا رسول الله تركت قومك كعب بن لؤى وعامر بن لؤى، قد سمعوا بمسيرك ففزعوا، وهابوا أن تدخل عليهم عنوة، وقد استنفروا لك الأحابيش، ومن أطاعهم معهم العوذ المطافيل[٣] قد لبسوا لك جلد النمور[٤] ليصدوك عن المسجد الحرام، وقد خرجوا إلى بلدح وضربوا بها الأبنية وتركت عُمّادهم يطعمون الجزر أحابيشهم، ومن ضوى إليهم فى دورهم وقدموا الخيل عليها خالد بن الوليد مائتى فارس، وهذه خيلهم بالغميم، وقد وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الأرصاد[٥].

وفى رواية أن بديلاً بن ورقاء الخزاعى ومعه جماعة من خزاعه وكانوا موضع سر ونصح للنبى ـصلى الله عليه وسلمـ وبينهما ثقة متبادلة على الرغم من ترك خزاعة آنذاك وأعلموا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن قومه من كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد استنفروا الأحابيش ومن أطاعهم ومعهم العوذ والمطافيل والنساء والصبيان يقسمون بالله لا يخلو من بين المسلمين وبين البيت حتى يبيدوا دهماءهم وسوادهم فقال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف به البيت فمن

صدنا عنه قاتلناه[١]. ويقال أن الحليس بن علقمة سيد الأحابيش كان معهم[٢].

و لا يوجد تعارض بين هذا الخبر وخبر تبليغ بسر بن سفيان تحرك قريش والأحابيش للنبى صلى الله عليه وسلم- لأن بسر قد علم بقيام قريش والأحابيش قبل تحركهم، أما بديل بن ورقاء فقد نقل الخبر إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد تحرك قريش والأحابيش بالفعل.

على كل حال لما وصل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الغميم تشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال " أما بعد فإن قريشاً قد جمعت أحابيشها تطعهم الخزير يريدون أن يصدونا عن البيت فأشيروا على ما ترون أترون أن نعمد إلى الرأس- يعنى مكة - أو نعمد إلى الذين أعانوهم - أي الاحابيش وثقيف- فنخالفهم إلى نسائهم وصبيانهم فإن جلسوا جلسوا مهزومين موتورين وإن طلبونا طلبو طلباً مدانياً ضعيفاً فأخزاهم الله[٣]. وهنا أدلى بعض الصحابة بآدائهم ومشورتهم للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فأبو بكر - رضى الله عنه - رأى أن يتجهوا إلى مكة، أما المقداد بن الأسود فقال: إنا والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لنبيها " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون " ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

ـ حتى إذا غش الحرم ودخل حدود الحرم بركت ناقته الجدعاء فقال الناس خلأت[٤].

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما خلأت وما الخلاء بعادتها ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعونى قريش إلى تعظيم المحارم فيسبقونى إليه، هلموا ههنا لأصحابه، وأخذ ذات اليمين فسلك ثنية تدعى ذات الحنظل حتى هبط على الحديبية[٥].

أما عن دور الأحابيش في هذه الغزوة، فكما سبق القول كانت قوة الأحابيش هي القوة الرئيسية التى تلجأ إليها قريش فى حروبها والأمور العصيبة التى تواجه قريش، لذا لم تكد تسمع قريش عن

---

(١) ابن سعد: ج٢ ، ص ١٣٨.

(١) المقريزى: امتاع الأسماع: ج١ ، ص ٢١٦.

(١) أى أن المقصود بهؤلاء أعانوهم الأحابيش وثقيف.

(١) أبى يوسف:الخراج ، تحقيق / طه عبد الرؤف،المكتبة الأزهرية ،القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٢٢٧.

(١) أبى يوسف: الخراج ، ص ٢٢٧.

(١) المصدر السابق: ج٢ ، ص ٧٧.

(١) ابن ماكولا: الإكمال ج٢ ، ص ٤٩٧.

(١) الواقدى: ج٢ ص ٧٥.

(١) الحلس فى كنانة بن خزيمة ، وهو ابن نفاثة بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ، ابن حبيب: المؤتلف والمختلف ص ٨٧.

(١) أبى يوسف: المصدر السابق ، ص ٢٢٨.

(١) الواقدى: ج٢ ، ص ٨٩.

تحرك المسلمين إلى مكة حتى استنفرت الأحابيش[١]، وجمعت قريش الأموال لتجهيز الطعام للأحابيش القادمين للوقوف بجانب قريش وكان إطعام المحاربين فى هذه الغزوة كان يتم فى خمسة أماكن وذلك قبل التحرك لملاقاة المسلمين خارج مكة، فكان يتم الإطعام فى دار لندوة وفى دار صفوان بن أمية وفى دار سهيل بن عمرو ودار عكرمة بن أبى جهل ودار حويطب بن عبد العزى[٢].

وكان الأحابيش يومئذ تحت رئاسة الحليس بن علقمة بن عمرو ابن الأوقح بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة[٣]، وقد كان للحليس هذا موقف مشهود يوم الحديبية، فعندما أرادت قريش أن تتفاوض مع المسلمين أرسلت عدة وفود كان أحدهم الحليس بن علقمة، وقد أظهر هذا الموقف مدى أهمية وعظم شأن الأحابيش، وتفصيل ذلك أن قريش قد أرسلت عروة بن مسعود المالكى ومن بعده مكرز بن الأخيف إلى معسكر المشركين بعثوا الحليس بن علقمة سيد الأحابيش، ولما رآه النبي ـصلى الله عليه وسلم ـقال: "هذا ابن الحلس[٤] وهو من قوم يعظمون الهدي فابعثوا له الهدي حتى يراه[٥].

وهناك رواية اخرى تقول أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "هذا من قوم يعظمون الهدى ويتألهون ابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه"(٦)، ومن المرجح أن الرواية الثانية أدق وأصح خاصة أن المقصود هنا هو الحليس وليس الحلس، والحليس هو من بني الحارث ابن عبد مناة سادة الأحابيش وليس ابن الحلس بن نفاثة بن الديل، ولقد كان النبي محقاً فيما قاله وعرف كيف يستثير عواطف الحليس بن علقمة، وذلك يتضح فيما يلي، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أمر أصحابه بترك الهدى يسير أمام الحليس بن علقمة، رأى الحليس هذا الهدي يسيل فى الوادى عليه القلائد قد أكل أوباره يرجع الحنين، كما استقبله القوم فى وجهه يلبون قد أقاموا نصف شهر قد تفلوا وشعثوا، رجع ولم يصل إلى النبي إعظاماً لما رأى، فلما رجع الحليس إلى قريش ولم يصل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لهم: "إنى قد رأيت ما لا يحل صده، رأيت الهدى فى قلائده قد أكل أوباده معكوفاً عن محله، والرجال قد تفلوا وقملوا أن يطوفوا بهذا البيت، أما والله ما على هذا حالفناكم ولا عاقدناكم على أن تصدوا عن بيت الله من جاء معظماً لحرمته مؤدياً لحقه وساق الهدى معكوفاً أن يبلغ محله"(١).

(١) الواقدى: ج٢ ، ص ٨٩.

وقد أثار هذا الكلام قريشاً فخرجت عن شعورها وقالت للحليس لما قص عليهم ما رآه "اجلس إنما أنت أعرابى لا علم لك"[١] فشاط الحليس غضباً من ذلك وقال فى لهجة شديدة كلمة وجهها إلى قريش قائلاً " والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد"[٢].

عندئذ خشيت قريش من أن ينفذ الحليس حلفه، فطلبوا منه أن ينتظر حتى يأخذوا لأنفسهم ما يرضون به[٣].

مما لا شك فيه أن ذلك الموقف يدل على قوة الأحابيش وقوة شخصية سيدهم الذى علا شأنه أكثر من ذى قبل بعد هذا الموقف.

وجدير بالذكر أن هناك رواية تذكر أن الحليس عندما رأى الهدى والمسلمين بهيئتهم التى رآهم عليها قال: " ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، أبى الله أن تحج لخم وجذام وكنده وحمير ويمنع ابن عبد المطلب، ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت هلكت قريش ورب الكعبة، إن القوم إنما أتوا عماراً " فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " أجل يا أخا بني كنانة "[٤].

---

(١) ابن هشام: ج٣ ، ص ٢٠١.

(٢) ابن هشام: ج٣ ، ص ٢٠١.

(٣) المقريزى: ج١ ، ص ٢٢٢.

(٤) الشامى: ج٥ ، ص ٧٦ ؛ الحلبى: ج٣ ، ص ١٩.

ومن المحتمل أن يكون المقصود بتعليق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قول الحليس إما أنه لقي الحليس فى طريقه، ويكون مراد من قال أنه لم يصل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى لم يصل إلى مقر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى نزل فيه، أو أن يكون نقل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول الحليس هذا، فعلق النبي على مقولة الحليس وقال ما قال.

وعلى كل حال لم يكن هذا هو موقف الأحابيش فقط، بل هناك موقف آخر برز منه دور الأحابيش، فعندما نزل النبي ـصلى الله عليه وسلم ـالحديبية قرر أن يرسل مبعوثاً إلى قريش لكي يعلمهم أن المسلمين لم يأتوا لقتال وإنما جاء لأداء مناسك العمرة ثم يعود بعدها إلى المدينة، فأرسل النبي ـصلى الله عليه وسلم ـخراشاً بن أمية الخزاعي وحمله على جمل يقال له " الثعلب " فلما دخل خراش مكة عقرت قريش الجمل وأرادوا قتل خراشاً إلا أن الأحابيش منعوا قريشاً من قتله[1].

وبعد أحداث جرت فى هذه الغزوة قرر المسلمون والمشركون أن يعقدوا هدنة لوضع حداً للحرب الدائرة بينهم، وأرسلت قريش سهيلاً ابن عمرو لكتابة نص الصلح، وإصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض،

(١) الصلابي: عثمان بن عفان ، دار الفجر ، القاهرة ، ٢٠٠٤، ص ٣٥.

على أنه من أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ترده عليه، وأن يمضى كل من الطرفين بالعقد خالياً من الغدر والخداع وإنه لا أسلال ولا أغلال أي لا سرقة خفية ولا خيانة، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن يرجع عامه هذا ولا يعتمر[1] فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن فى عقد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن فى عقد قريش وعهدها[2].

الأحابيش ونقض صلح الحديبية:

لم تسفر معاهدة الحديبية التى عقدت بين المسلمون وقريش وحلفائها عن هدوء الأوضاع نهائياً، ولكن ظل الجو مشحوناً بين الطرفين ففي أثناء الصراع بين المسلمين ويهود خيبر، حدث رهان بين بعض المشركين، منهم من راهن على هزيمة المسلمون، ومنهم من راهن على إنتصار المسلمون، فكان من المراهنين عباس بن مرداس السلمي، وصفوان بن

(١) الطبرى: ج٢ ، ص ١٤٥.

(٢) الطبري: ج٢ص١٤٥.

أميه، ونوفل بن معاوية النفاثى أحد سادة الأحابيش، بالإضافة إلى بعض القرشيين شاركوا في هذا الرهان[١].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فبعد غزوة خيبر كانت النية مُبيته من قريش والأحابيش على إعادة الحرب بينهم وبين المسلمون وحلفائهم الخزاعيين، واتفقوا على إعانة نوفل بن معاوية الديلي في الهجوم على خزاعة الذى ذكّر قريشاً ونبههم إلى أن خزاعة لا يغيبون على محمد حرفاً من أمور قريش ولا الأحابيش[٢].

وجائت القشة التى قصمت ظهر البعير، وتسببت بعد ذلك في فتح مكة وتحجيم قوة الأحابيش حتى تلاشت بعد ذلك بمرور الزمن، وذلك كان هناك ثأر ودماء قديمة بين بني الديل بن بكر وبين خزاعة في الجاهلية، ولكن لما ظهر الإسلام تحاجز الطرفان عن قتل بعضهم البعض، حتى كانت هدنة الحديبية ودخلت خزاعة في حلف النبي- صلى الله عليه وسلم-، ودخلت بنو بكر في عقد قريش فاستغل بني الديل بن بكر الهدنة وقاموا بالإعتداء على خزاعة عند ماء لها يسمى الوتير[٣].

---

(١) الواقدى: ج٢ ص١٦١.

(١) الواقدى: السابق ، ج٢ ص١٨٤.

(٢) الطبري: ج٢ص١٨٢

(٣) الطبري: ج٢ص١٨٢.

ولم يكن كل بني بكر قد نقض الهدنة[١]، لكن من الثابت أن بني الديل كانوا أشد من قام بهذه الهجمة الشعواء على خزاعة خاصة بني نفاثة وسيدهم نوفل ابن معاوية الديلي وهم من القوة الأساسية للأحابيش، كما أن بني الديل قد قتل منهم ثلاثة من أسيادهم وأشرافهم أثناء سلسلة القتل التى كانت بين خزاعة وبني الديل، وهم سلمى وكلثوم وذؤيب من بني الأسود بن رزن الديلي، قد قُتلوا جميعاً في عرفه عند أنصاب الحرم[٢].

كما شارك الأحابيش أيضاً في الهجمة التى قادها نوفل بن معاوية الديلي على ماء الوتير[٣]، وأخذوا في قتل الخزاعيين الموجودين هناك وتقدر أحد المصادر عدد القتلى من خزاعة بعشرين قتيلاً[٤] أو ثلاث عشر[٥]، وبلغ القتال أشده حتى دخل المتحاربون الحرم وقريش قد ساندت بني بكر بالسلاح وإشترك بعض القرشيين مع البكريين في هجمتهم على الوتير ليلاً[٦]، ولما دخل الخزاعيون الحرم طلباً للأمان لم يراعي نوفل بن معاوية حرمة الحرم، حتى إن من معه من بني بكر قالوا له

---

(٢) ابن هشام: ج٤ ص١٧.

(٣) الواقدى: ج٢ ص٢٣١.

(٤) ابن سعد: ج٢ ص١٩٤.

(٥) الواقدى: ج٢ ص٢٣١.

(٦) ابن سيد الناس: المصدر السابق ، ج٢ ص٢٢٤.

"إنا قد جلنا الحرم، إلهك إلهك"، فقال لهم "لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبا ثأركم، فلعمرى إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه"[١].

ولما اشتد هجمة البكريين والقرشيين الذين عاونوهم على خزاعة، ولم يراعوا حرمة البيت لجأ الخزاعيون إلى بيت بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع، وفي ذلك يقول الأخرون لعيط الديلي:-

ألا هل أتى قصوى الأحابيش أننا ... رددنا بني كعب بأفوق ناصل
حبسناهم في دارة العبد رافع ... وعند بديل محبساً غير طائل[٢]

وبهذه الهجمة يكون الصلح الذى عقد في الحديبية قد انتقض من جانب بني بكر وقريش، وبعد أن لجأ الخزاعيون لدار بديل بن ورقاء ونافع، خرج عمرو بن سالم الخزاعى في أربعين راكباً يستنصره ويعلمه ما حدث قائلاً:

يارب إنى ناشد محمداً ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولداً وكنا والداً ... تمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا[٣]

(١) ابن هشام: ج٤ ص١٨.
(٢) ابن هشام: ج١٤، ص١٩.
(٣) ابن سيد الناس: ج٢، ص٢٢٤.

ويشير عمرو إلى الحلف الذى عقد بين عبد المطلب وخزاعة بمن فيهم بنو المصطلق[١] الخزاعيون الذين كانوا من ضمن الأحابيش وقد سبق الإشارة إلى هذا التحالف.

ولما دخل عمرو بن سالم على النبي- صلى الله عليه وسلم- وقال ما قاله، فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم- "نصرت يا عمرو بن سالم"[٢].

ثم خرج بعد ذلك بديل بن ورقاء في نفرق خزاعة حتى قدموا على النبي – صلى الله عليه وسلم- فأخبروه بما أحبب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ويرى ابن سيد الناس أن الركب الذين خرجوا مع بديل هم نفسهم الركب الذى خرج مع عمرو بن سالم[٣] أى أن الذين قدموا على النبي – صلى الله عليه وسلم- ركباً واحداً وليس اثنين.

وعلى كل حال لما حدث ما حدث ندمت قريش على اعانتها لنوفل بن معاوية، ولما أخبر الخزاعيون النبي- صلى الله عليه وسلم- بما حدث وأعلموه أن المتهمين في هذه الأحداث بنو نفاثه بقيادة نوفل بن معاوية، أرسل النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى أهل مكة يخيرهم بين ثلاث أشياء، إما أن يبرئوا من حلف نفاثة أو يدوا خزاعة أو ينبذو إليهم على سواء فاختارت قريش أن ينبذوا إليهم على سواء، ثم ندمت قريش بعد

---

(١) البلاذرى: المصدر السابق ، ج١ ص٧١.

(٢) ابن القيم: زاد الميعاد، ج٢ ص٢١٩.

(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢ ص٢٢٥.

ذلك فبعثت أبا سفيان بن حرب تسأل النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يجدد العهد[١].

ولم يكن الأمر مقتصراً على الإعتداء على خزاعة، بل إن هناك من سبّ النبي- صلى الله عليه وسلم- وهجاه كأنس بن زنيم الديلي[٢]، وعندما هجا أنس رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سمعه غلام من خزاعة فوقع به فشجه، فخرج إلى قومه فأداهم شجته فثار الشر مع ما كان بينهم وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمائها[٣].

وقد أخبر الخزاعيون النبي- صلى الله عليه وسلم- أن أنساً هجاه فهدر النبي- صلى الله عليه وسلم- دمه ثم عفى عنه، وجاء إليه أنس معتذراً ثم أسلم، قائلاً في اعتذاره إلى النبي- صلى الله عليه وسلم.

أأنت الذى تهدى معد بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك أشهد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبو وأوفي في ذمة من محمد[٤].

وأحداث فتح مكة، منذ اعتداء بني بكر على خزاعة إلى أن فتح الله مكة على يد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كثيرة وفيها من الأخبار ما لا

---

(١) الواقدى: ج٢، ص٢٣١.

(٢) الواقدى: ج٢، ص٢٢٨.

(٣) ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق/ سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٨٦.

(٤) الواقدى: السابق، ج٢، ص٢٣٣؛ ابن تيمية: الصارم المسلول، ص٨٦- ٨٧.

مكان له في هذه الدراسة، ولكن سيكون تركيز الباحث على تبعيات هذا الفتح على الأحابيش وموقفهم من المسلمين، ومقاومة الأحابيش للمسلمين.

نظراً لما قام به الأحابيش مجتمعين أو بعض قبائلهم في المشاركة بالهجوم والاعتداء على المسلمين كان لزاماً على المسلمين أن يواجهوا هذه القوة، لذا نرى أن النبي-صلى الله عليه وسلم- أخذ في الحسبان العمل على القضاء على قوتهم فلجأ إلى السياسية وذلك باجتذاب النبي-صلى الله عليه وسلم- قبائل خزاعة وكنانة التى تنتمى إليها أحياء الأحابيش كخزاعة وغفار وأسلم[١]، وليس معنى ذلك أن كل خزاعة أو بني كنانة كلها كانوا من الأحابيش، كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين المحدثين الذين اعتبروا بني ضمرة[٢] وغفار[٣] وكل خزاعة من الأحابيش[٤]، وهذا القول محدث لم يقله أى من المؤرخين والكتاب القدامى الذين تحدثوا وأشار إلى الأحابيش وقبائله، بل أن هناك عدة مصادر تخرج خزاعة عن الأحابيش إلا الحيا (الحياء) والمصطلق فهم من الأحابيش[٥].

---

(١) عبد الحميد العبادى: صورة من التاريخ الإسلامى، ص١٩.

(٢) على حسن: دراسة لمواقف الأحابيش، ص٥٦، ٥٨، ٧٩- ٨٠، ٨٣.

(٣) على حسن: المرجع السابق، ص٥٨، ٧٤، ٧٩- ٨٠،٨٣.

(٤) على حسن: السابق، ص٨٠.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢ص١١٧.

أما عن تحالف النبي- صلى الله عليه وسلم- مع بعض القبائل الكنانية وتحسن علاقته مع بعض الخزاعيين فيرجع إلى قيامه- صلى الله عليه وسلم- بتضيق الخناق عن قبائل الأحابيش وبطونها المنتمين في الأصل إلى هذه القبائل ولكي يضمن النبي- صلى الله عليه وسلم- على أقل تقدير ألا تشارك في باقي القبائل والبطون العربية من أخوانهم في الأحابيش في الصراع بينهم وبين المسلمين.

لذا أمّن النبي- صلى الله عليه وسلم- ظهره في عدد من الأماكن وعمل بعد ذلك على استئصال والقضاء على قوة الأحابيش قبيلة تلوا الأخرى.

لذا نرى النبي- صلى الله عليه وسلم- بعد غزوة أحد التى اشترك فيها الأحابيش من بني الحارث بن عبد مناة، وبني مالك بن كنانة، وبني المصطلق وبني نفاثة بن الديل أن يوجه النبي- صلى الله عليه وسلم- سراياه وجيوشه لتأديب هذه القبائل بعد رفضها الإسلام ووقوفها مع قريش ضد المسلمين، اللهم إلا الأفراد الذين أسلموا من الأحابيش- كما سيُعرض بعد ذلك- لذا نرى النبي- صلى الله عليه وسلم- يلجأ إلى القوة لإجبار قبائل الأحابيش على التراجع عن تأيدها لقريش وغيرهم من العرب المتمالئين ضد الإسلام والمسلمين.

ولقد شهدت الفترة بين العام الرابع والسادس الهجريين نشاطاً مكثفاً لسرايا النبي- صلى الله عليه وسلم- ضد المناهضين للدعوة الإسلامية، شنّ خلالها النبي- صلى الله عليه وسلم- أكثر من سرية ضد قبائل

الأحابيش، كل منها على حدة، ففى العام الخامس[١] وقيل العام السادس للهجرة[٢] بعث النبي- صلى الله عليه وسلم- سرية بقيادة عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- إلى القارة فاعتصموا بالجبال[٣] فأخذ يرميهم هو ومن معه بالحجارة بكلتى يديه[٤]، كما بعث- صلى الله عليه وسلم- بشر[٥] وقيل بشير[٦] بن سويد الجهنى إلى بني الحارث بن عبد مناة بن كنانه الأحابيش فاعتصموا منه في غيضة فأضرمها عليهم ناراً فاحترقوا فأنكر النبي- صلى الله عليه وسلم- ذلك لما رجعوا وقال لهم بئس ما فعلتم[٧] وحتى لا يخيل إلا البعض أن بشراً (بشير) أضرم النار فيهم كلهم أو احترقوا كلهم، بل كانت فئة منهم.

كما وجه النبي- صلى الله عليه وسلم- بلالاً بن الحارث المزنى إلى بني مالك بن كنانه، فنذروا فلم يصب فى دارهم إلا فرساً فجاء بها إلى

---

(١) ابن خياط: ص٤٧، ابن حبيب: المحبر، ص١٤٠.

(٢) المسعودى: التنبيه والإشراف، ص٢٥٢.

(٣) ابن خياط: ص٤٧.

(٤) ابن حبيب: ص١٤٠.

(٥) ابن حبيب: ص١٤٠، المسعودى: ص٢٥٢.

(٥) ابن خياط: ص٤٧.

(٥) ابن حبيب: ص ١٤٠.

(٥) ابن حبيب: ص ١٤٠.

النبي صلى الله عليه وسلم[١]، ولا شك أن كل هذه السرايا ومن بعدها بنو المصطلق . كما سأتعرض لها . إنتقاماً لمواقف هذه القبائل ومشاركتها مع قريش فى أحد ،واشتراك الأحابيش مع سفيان الهذلي فى التوجه لمهاجمة المسلمين، بالإضافة إلى أحداث الرجيع وبئرمعونة ولاشك أن هذه السرايا قد أثارت الحقد فى نفوس الأحابيش وجعلتهم يخرجون إلى المسلمين فى غزوة الأحزاب حاملين مظاهر البغض والحقد على المسلمون.

وجدير بالذكر أن هذه السرايا التي سبق ذكرها لم تحظ باهتمام أكثر كتاب السير كاهتمامهم بغزوة بني المصطلق الأحابيش، ولعل السبب في ذلك هو الأثر الكبير الذي خلفته غزوة بني المصطلق من إسلام القبيلة عن بكرة أبيها، بالإضافة إلى مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم لهم، أما عن سبب هذه الغزوة فهناك قولان، الأول: يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم وصلت إليه الأخبار بجمع الحارث أبى ضرار لحرب النبي ـصلى الله عليه وسلمـ وأخذ فى حشد القوات من بني المصطلق وغيرهم من العرب[٢]. والقول الثاني: يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أغار عليهم وهم غارون . أي غافلون . وبعضهم على الماء يسقي[٣].

وهذان القولان صحيحان، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه خبر تجهيز بني المصطلق للإغارة على المسلمين أرسل النبي ـصلى الله

---

(٢) ابن هشام: جـ٣ ص٢٧٩.

(٣) أبو يوسف: المصدر السابق ؛ ص٢١٠؛ ابن أبى شيبة: المغازي ، تحقيق /عبد العزيز العمري ، دار أشبيليا، السعودية ط١ ١٩٩٩م ص٢٦٨؛ البخاري: حديث رقم ٢٥٤١.

عليه وسلم- الصحابي بريدة بن الحصيب للتأكد من الخبر، ولما وصل بريدة إلى الحارث بن أبي ضرار متنكراً، وعلم بصحة الخبر فعاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بصحة خبر تجهيز بني المصطلق للإغارة على المسلمين، فانتهز النبي صلى الله عليه وسلم الفرصة السانحة وهجم على بني المصطلق وهم غافلون.

وعن قول البعض أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما خرج إلى بني المصطلق وهم غارون اختلف الفقهاء حول جواز قتال الكفار دون أن تبلغهم دعوة الإسلام على ثلاثة مذاهب:-

الأول: يجب الإنذار مطلقاً. قاله مالك وغيره.

والثاني: لا يجب مطلقاً.

والثالث: (وهو الرأي الصحيح)، يستحب وهو قول نافع مولى ابن عمر والحسن البصري والثوري والليث بن سعد والشافعي وغيرهم[١].

وأما ما يخص حالة بني المصطلق التي بصدد الحديث عنها، فإن بني المصطلق لم يجهلوا الدعوة الإسلامية، بل كانوا على معرفة بها وقد شاركوا فى محاربتها فى غزوة أحد ضمن قوة الأحابيش[٢].

---

(١) النووي: شرح صحيح مسلم، جـ١٢ ص٣٢.

(٢) إبراهيم قريبى: المرجع السابق، ص٦٧؛العمرى: المرجع السابق، ج٢، ص٤٠٥.

ويبدو أن السبب الذى جعل بني المصطلق يجمعون للمسير إلى المدينة هو قيام النبي صلى الله عليه وسلم بتأديب الأحابيش الذين شاركوا مع قريش فى غزوة أحد وفى عرنة مع الهذليين، ولما قام النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه سراياه إلى بني مالك وبني الحارث بن كنانة والقارة، خشي بنو المصطلق أن يتوجه إليهم النبي صلى الله عليه وسلم هم الآخرون لتأديبهم لمشاركتهم مع الأحابيش فى أحد لذا سارعوا إلى شراء السلاح والخيل للتجهيز لحرب المسلمين[١]، وهناك سبب آخر معقول ذكره أحد الباحثين وهو أن بني المصطلق نظراً لتوسط ديارهم ديار خزاعة، وكانت مساكنهم فى الطريق التجاري إلى الشام، وتحسن علاقتهم مع قريش، لذا رأي بنو المصطلق أن يعلنوا الحرب على المسلمين رغبة منهم في الإبقاء على الطريق التجاري مفتوحاً أمام قريش، ولا يهددها أحد نظراً للمصالح والمكاسب التى ستعود على بني المصطلق[٢].

أما عن سنة الغزوة فقد اختلف فيه أيضاً:-

فهناك من يرى أنها كانت سنة خمس لهجرة كموسى بن عقبة، والواقدى، ابن سعد، المسعودى، مغلطاى[٣] وغيرهم.

---

(١) الواقدى: ج١، ص٣٤٣.

(٢) العمرى: السابق، ج٢، ص٤٠٥.

(٣) كموسى بن عقبة: المغازى: ص٢٢٩؛ الواقدى: المغازى: ج١ص ٣٤١؛ ابن سعد: الطبقات: ج٢، ص٨٧؛ المسعودى: التنبيه والإشراف: ص٢٤٩؛ مغلطاى: مختصر السيرة، ص٨٥.

وهناك من يرى أنها كانت سنة ست للهجرة كابن هشام[١] وابن خياط[٢] والطبرى[٣]، وابن حزم[٤]، وابن عبد البر[٥]، وابن الأثير[٦]، وابن كثير[٧]

وغيرهم، وهناك من رأى أنها كانت سنة أربع للهجرة كالبخارى[٨]، والمسعودى[٩].

إلا أن ابن حجر يقول عن قول البخارى كأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع[١٠].

ويرى البعض أن العام الذى حدثت فيه الغزوة كان سنة خمس للهجرة لأن الثابت أن حادثة الإفك كانت في هذه الغزوة ومن المشهور أن سعد بن معاذ وسعداً بن عبادة- رضى الله عنهما- تنازعا في أصحاب الإفك، فلو كانت المريسيع (بنو المصطلق) في سنة ست مع كون الإفك فيها

---

(١) السيرة النبوية: ج٣، ص١٨٣.

(٢) تاريخ خليفة: ص٤٧.

(٣) التاريخ: ج٢ص١٢٣، ١٢٨.

(٤) جوامع السيرة: ص١٦١.

(٥) الدرر: ص١٣١

(٦) الكامل: ج٢ص٧٩.

(٧) البداية والنهاية: ج٤ ص١٥٧.

(٨) الصحيح: ج٣ص٩٧.

(٩) مروج الذهب: ج٢ ص٢٩١.

(١٠) فتح البارى: ج٧ ص٤٣٠.

لكان ما وقع في الصحيح عن ذكر سعد بن معاذ غلطاً، لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة وكانت سنة خمس كما أن الخندق كانت في شوال سنة خمس[١] ولذا يرجح البعض أن تكون غزوة بني المصطلق سنة خمس ومما لا خلاف فيه أن هذه الغزوة كانت شهر شعبان يوم الاثنين لليلتين خلتا منه[٢].

وعلى كل حال، لما تأكد النبي- صلى الله عليه وسلم – من نية بني المصطلق أغار عليهم على ماء لهم يقال له المريسيع وكان بعض بني المصطلق يسقى الماء هناك ومنهم جويرية بنت الحارث المصطلقية ـأم المؤمنينـ فكانت ممن أخذ يومئذ[٣]، وفي الطريق قبل أن يصل النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى المريسيع وجد عيناً للمشركين قد أرسله الحارث بن أبى ضرار للتجسس على المسلمين فظفر به المسلمون فأمرالنبي- صلى الله عليه وسلم- عمر بن الخطاب بضرب عنقه بعد أن رفض الإسلام[٤].

ولما علم بنو المصطلق بقتل جاسوسهم وإغارة المسلمين على مياههم خروجوا لمواجهة المسلمين، فابتدأت الحرب بالرمى بالنبل، ثم أمر النبي- صلى الله عليه وسلم- أصحابه بالحمل على المشركين حملة رجل

(١) إبراهيم قريبى: المرجع السابق.

(٢) مغلطاي: مختصر السيرة ، ص ٨٤.

(٣) أبو يوسف: ص٢١٠.

(٤) الحلبى: السيرة الحلبية، ج٢ص٣٧٨.

واحد، وبالفعل نفذ المسلمون أوامر النبي- صلى الله عليه وسلم- وقتلوا عشرة من المشركين[١]، قتل منهم رجلان على يد على بن أبى طالب- رضى الله عنه- أحدهما يسمى مالكاً والأخر ابنه[٢]، وسبى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الرجال والنساء والذرية والنعم والشاء فلم يفلت منهم إنسان، ويقال أن السبى كان مائتي أهل بيت[٣]، أما الإبل فكانت ألفى بعير، والشاء خمسة آلاف شاة[٤]، ثم وزع النبي- صلى الله عليه وسلم- السبى والغنائم على أصحابه، لكن لما قرر النبي- صلى الله عليه وسلم الزواج من السيدة جويرية ـرضي الله عنها ـ سارع الصحابة الذين تحت أيديهم سبى من بني المصطلق، بعتقهم إكراماً للسيدة جويرية أم المؤمنين، ويقال إن صداقها كان عتق كل أسير من بني المصطلق[٥] وقيل عتق أربعين من قومها[٦].

أما عن عدم إبراز دور باقى الأحابيش في هذه الغزوة، فيرجع إلى أن باقي الأحابيش لم يفيقوا بعد من أثر السرايا التى سبق أن وجهها النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى بعضهم كبني مالك وبني الحارث والقارة، كما

---

(١) ابن سعد: ج٢ص٨٨.

(٢) الطبرى: ج٢ص١٣٠.

(٣) الشامى: ج٤ص٤٨٩.

(٤) ابن سعد: ج٢ص٨٩.

(٥) ابن سلام: الأموال، تحقيق/محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص١٣٠.

(٦) ابن سعد: ج٢ ص٨٩.

أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قد خرج سرعاً لملاقاة بني المصطلق، فلم تكن هناك فرصة لتجمع الأحابيش، لذا نرى أن الأحابيش لما أفاقوا من صدمتهم لم يتوانوا عن المشاركة في حملة قريش ضد المسلمين في غزوة الأحزاب (الخندق) للانتقام لما حصل لهم من المسلمين ولنصرة حلفائهم القرشيين وعلى كل حال بعد أن انتهى أمر غزوة بني المصطلق دخلوا الإسلام وسوف سيبن الباحث ذلك الحياة الدينية للأحابيش.

كما سبق القول في صلح الحديبية أن بني بكر قد دخلت في عقد قريش في حين أن خزاعة قد دخلت في عقد النبي- صلى الله عليه وسلم- ولما هاجم بنو نفاثة الأحابيش خزاعة ومعهم قريش التى ساعدتهم ببعض الرجال والسلاح، رفضت قريش أن تتبرأ من حلفها لبني نفاثة[١]، قررالنبي "صلى الله عليه وسلم" الخروج لفتح مكة، ولما داهمت قوات المسلمين مكة أوكلت قريش إلى الأحابيش أن يكونوا بأسفل مكة[٢]، وكان من الأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وبني الديل، كما شارك بعض القرشيين والهذليين فى هذا التجمع العسكري بأسفل مكة، وكان قواد هذا الجيش عكرمة ابن أبى جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو[٣]، وكانت النية مبيته من الأحابيش ومن معهم أن يواجهوا المسلمين بالقوة حتى أن أحد بني الديل ويدعي حماس بن خالد الديلي قد وعد أمراته أن

(١) الواقدي: جـ٢ ص٢٣١.

(٢) الطبري: جـ٢ ص١٨٩.

(٣) الواقدي: جـ٢ ص٢٥٩.

يأتيها بخادم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[١]، وذلك قبل أن يفتح النبي ـصلى الله عليه وسلمـ مكة ولما استعد المشركون بأحابيشهم فى أسفل مكة لمواجهة المسلمين خرج معهم حماس الديلي ليفي بوعده لأمراته إلا أن سيف الله خالد ابن الوليد لما رأى الأحابيش ومن معهم قد شهروا في وجهه السلاح ورموا المسلمين بالنبل اشتبك الفريقان وقتل من قريش أربعة وعشرين رجلاً وأربعة من هذيل ثم ولوا على أدبارهم مهزومين حتى قتلوا بالحزورة، وهم مولون فى كل وجه وانطلقت طائفة منهم فوق رءوس الجبال وأتبعهم المسلمون[٢]، وكان حماس الديلي من المنهزمين، ولما دخل على زوجته قابلته مستهزئة قائلة له "أين الخادم لم أزل متوقعة لمجيئك به" فقال لها مبيناً ما حدث لقريش والأحابيش:-

إنك لو شهدتنا بالخندمة ... إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد كالعجوز المؤتمة ... لم تنطقي فى اللوم أدني كلمة
إذ ضربتنا بالسيوف المسلمة ... لهم زئير خلفنا وغمغمة[٣]

ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة أخذ يرسل السرايا يميناً وشمالاً وفى كل الجهات وكان من ضمن السرايا التي أرسلها سرية عمرو بن أمية الضمري إلى بنل الدئل[٤]، ولكن أهم تلك السرايا السرية التي

(١) البلاذري: جـ ١ ص١١٨.
(٢) الواقدي: جـ٢ ص٢٥٩.
(٣) البلاذري: جـ١١ص١١٨.
(٤) الأصفهاني: الإغاني: جـ٧ ص٣٠٦.

أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم[١] إلى الأحابيش بنو الهون بن خزيمة والحيا بن خزاعة وبنو مالك بن كنانة وبني جذيمة بن عامر بن عبد مناة[٢] وقد وافاهم خالد عند ماء لهم يسمى الغميصاء، وكان مع خالد قوم من بني سليم فاستباحهم خالد فادّعوا الإسلام[٣] ويعتبر خبر هذه السرية وأحداثها من أشهر السرايا التي شنها المسلمون وأخذ بعض المستشرقين يستغلونها في الطعن على الإسلام وخالد بن الوليد، وقد تعرض المستشرق كلاوس كلير إلى هذه السرية بتوسع كبير في أحد مؤلفاته[٤]، وقد ذكر الروايات الخاصة بها.

ولعل سبب الإشكال في هذه المسألة وما أُخِذَ على خالد بن الوليد ـرضي الله عنه ـهو القول بأن بني جذيمة لما توجه إليهم خالد فدعاهم إلى الإسلام لم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون:"صبأنا، صبأنا" فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل من أصحابه أسيراً ثم أمرهم خالد أن يقتل كل رجل من الذين معه وكانوا ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين رجلاً أسيره، إلا أن هناك بعض الصحابة من الذين كانوا مع خالد رفضوا ذلك حتى قدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنكر ما فعل

---

(١) ابن حبيب السابق ص٢١١.

(٢) الأصفهاني: جـ٧ ص٣٠٧- ٣٠٨.

(٣) ابن بكار: جـ٢ ص٧١٨.

(٤) خالد وعمر، ترجمة محمد جديد، قدمس للنشر. ط١، ٢٠٠١م ص٦١- ١١٩

خالد ورفع صلى الله عليه وسلم يديه فال "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" مرتين[١].

لقد إعترض أحد الكتاب على أن يكون بني جذيمة مسلمين حين توجه إليهم خالد لأنهم لو كانوا مسلمين لَمَا أرسل النبي "صلى الله عليه وسلم" خالداً إليهم[٢].

وهناك من يرى أنهم كانوا مشركين حتى قدم إليهم خالد فأسلموا ولكنهم لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا عندئذ قتلهم خالد.

وهناك عدة مصادر تذكر السبب فى تصرف خالد وقتله لبني جذيمة إلى أسباباً شخصية، وذلك لحدث ما قد حدث فى الجاهلية ويتلخص فى أن الوليد ابن المغيرة والد خالد أقبل فى تجارة من الحبشة ومعه ركب من قريش فيهم عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة أبو عبد الرحمن بن عوف، ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبى العاص بن أمية ومعه ابنه عثمان بن عفان، وكانوا قد رجعوا ومعهم مال رجل من بني جذيمة بن عامر ابن عبد مناة، قد هلك باليمن فأرادوا دفع المال إلى ورثة القتيل، فلقيهم رجل يسمي خالد بن هشام بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى ورثة الميت، فطلب منهم المال فأبوا عليه فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه فقاتلوه، فقتل الفاكة بن المغيرة أخو الوليد بن

(١) البخاري : حديث رقم ٤٣٣٩.

(٢) كلاوس كلير: خالد وعمر ، ص٩٤.

المغيرة، وعوف ونجا عفان وابنه عثمان وأخذوا مال الفاكة ومال عوف بن عبد[١] وهناك رواية أخرى مجملة تقول: إن عبد الرحمن بن عوف وأباه عوفاً والفاكة بن المغيرة وضرار بن الخطاب جاءوا تجاراً فمروا ببني جذيمة من كنانة فقاتلوهم وقطعوا عليهم الطريق[٢].

وهناك رواية ثالثة تقول إن نفراً من قريش يبلغون بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مناة، فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيين: إياكم أن يكون معكم رجل من فهم، لأنه كان له عندهم ثأر، فقال القرشيون لا والله ما هو معنا ـ وهو معهم ـ، فلما راحوا أدركهم العامريون ففتشوهم فوجدوا الفهمي معهم في رحالهم، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالهم وكان فيمن قتل يومئذ عفان بن أبي العاصي وأبي عثمان بن عفان، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف، والفاكة بن المغيرة والفاكة بن الوليد بن المغيرة[٣]، فأرادت قريش قتالهم حتى خذلتهم بنو الحارث بن عبد مناة، فلم يفعلوا شيئاً وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مناة فيمن حضر الواقعة[٤].

---

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص٢٠٧- ٢٠٨.

(٢) ابن بكار: جـ٢ ص٥٣٧.

(٣) يبدو أن الفاكة بن الوليد لم يقتل لأنه كان فيمن حضر وفاة والده. ابن حبيب: السابق ص١٩٢.

(٤) الأصفهاني: جـ٧ ص٣٠٥- ٣٠٦.

ولما حضرت الوليد بن المغيرة الوفاة طلب من أولاده ومنهم خالد بن الوليد أن يطلبوا بدم أخيه الفاكة بن المغيرة فى بني جذيمة بن عامر[١]، لذا يرى البعض أن خالد بقتله بني جذيمة إنما كان بدافع الانتقام لمن قتل من قريش فى الجاهلية فى الأحداث التي سبق ذكرها، وتذكر بعض المصادر أن خالداً بن الوليد لما قدم على النبي ـصلى الله عليه وسلمـ عاب عليه عبد الرحمن ابن عوف ما صنع فقال له: يا خالد أخذت بأمر الجاهلية قتلتهم بعمك الفاكة قاتلك الله، فقال خالد: أخذتهم بقتل أبيك، فقال عبد الرحمن كذبت والله لقد قتلت قاتل أبى بيدي واشهدت على قتله عثمان بن عفان[٢] وكان ذلك فى سوق عكاظ دله عليه عثمان بن عفان فقتله[٣].

وعلى كل حال إن سبب هذه السرية كان دعوة أحد قبائل الأحابيش للإسلام ومما يلفت النظر أن بني الحارث بن عبد مناة كانوا تغيبوا عن هذه السرية ولم نجد لهم ذكر فى أحداثها، ويرى الباحث أن السبب فى ذلك أنهم قد تشتتوا بعد أن قاتلهم خالد بأسفل مكة.

وبعد ذكر السرايا السابق ذكرها، والغزوات ،وبعد أن فتح الله مكة على يد النبي صلى الله عليه وسلم أخذت قبائل العرب تدخل فى دين الله

---

(١) ابن حبيب: السابق ، ص١٩٢.

(٢) الواقدي: جـ٢ ص٢٩٧.

(٢) ابن بكار: ج٢ص٥٣٨.

أفواجا ومنهم من تبقى من قبائل الأحابيش الذين لم يكونوا أسلموا قبل الفتح وثبتوا على إسلامهم وأصبحوا جنوداً من جنود الإسلام، يدافعون عنه وخاضوا فى ذلك الحروب، كما كان لهم مشاهد ومواقف من الأحداث التي تلت الفتح وعصر الخلافة الراشدة وهو ما ستعرضه الدراسة فى الصفحات التالية وسيكون التركيز على النواحي الحربية إستكمالاً لموضوع هذا الباب.

ففى غزوة الطائف التي أعقبت فتح مكة نري هناك عناصر من الأحابيش بل وسادتهم الذين كانوا يقفون بالأمس ضد المسلمين، يقفون اليوم كجند من جنود المسلمين أمثال نوفل بن معاوية الديلي الذى كان يستشيره النبي ـصلىالله عليه وسلمـ فى غزوة الطائف[1]، كما شارك أيضاً فى غزوة حنين وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين[2].

واستمر الأحابيش بعد إسلامهم يشاركون المسلمون الأوائل فى الأحداث الحربية التي تمت فعهدا النبي ـصلى الله عليه وسلمـ والخلفاءالراشدون

ففي عام وفاة النبي ـصلى الله عليه وسلمـ ١١هـ كانت الردة التي قامت بها بعض القبائل العربية، وكان أول من ارتد من العرب كان الأسود العنسي فى السنة العاشرة للهجرة، فى بلدة كهف حنان فى اليمن، وكان

(١) الطبري: جـ٢ ص٢٠٦.

(٢) ابن هشام: ج٤ص٩٣.

قد خرج فى سبعمائة مقاتل، ولما بلغ الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى المسلمين فى اليمن وأمرهم بمقاتلة الأسود فقام معاذ بن جبل بهذا الأمر بمن معه من المسلمين[١]، ولن يخوض الباحث فى تفاصيل هذه الحروب، وإنما سيقتصر على إبراز موقف الأحابيش من هذه الحروب، وذلك من خلال شيئين الأول ذكر هل كان قبائل الأحابيش من بين المرتدين أم لا؟ والثاني هو موقف قبائل الأحابيش من الحروب التي جردت لحرب المرتدين والفتوح، فتذكر بعض المصادر أن الذين ارتدوا بنو أسد وفزارة وبنو عامر وغطفان، وبنو سليم وطائفة من بني تميم، وارتدت طائفة من كندة وارتدت بنو بكر بن وائل، وبنو حنيفة، وقد همت قبائل طيء أن ترتد عن الإسلام لولا موقف عدي بن حاتم الطائي الذى قام فيهم خطيباً وحال بينهم وبين الردة[٢].

كما ارتد بنو عوف بن امرئ القيس، وذكوان وبنو حارية، وأهل اليمامة كلهم، وأهل دبا من أزدعمان، والنمر بن قاسط وكلب ومن قاربهم من قضاعة، وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص، وحضرموت وعنس[٣].

أما الذين تمسكوا بالإسلام القبائل القاطنة بين مكة والمدينة وأسلم وغفار وجهنية ومزنية وكعب وثقيف، بني مالك، طئ، هذيل، وأهل السراة وبجيلة، وخثعم، ومن قارب تهامة من هوازن، نصر وجشم، وسعد بن

(١) محمد بريغش: ظاهرة الردة، مؤسسة الرسالة، د. ت ، ص٩٣- ٩٤.

(٢) الواقدي: كتاب الردة، تحقيق محمد حميد الله، ط١ ١٩٨٩م ، ص٣٠، ٣٧.

(٣) ابن حبيش: المصدر السابق، جـ١ ص١٨.

بكر وعبد القيس، وأهل اليمن تجيب وطوائف من مذحج وهمدان والأبناء وأهل الجند، والدئل وكنانة وعبس[١].

ولم يكن كلّ من ارتد دوافعهم واحدة، فهناك من منع دفع الصدقات، كبني يربوع وقيس بن عاصم المنقري وبني منطلة وبن دارم، فقد قام هؤلاء بتفريق الصدقات على قومهم لما بلغهم خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم[٢]، وهناك من رفض دفعها وأغلظ القول كبني فزارة[٣]، وهناك من منع الزكاة[٤]، وهناك من إدعى النبوة كالأسود العنسي[٥]، ومسيلمة وسجاح وهؤلاء قد إدعو النبوة وأنكروا نبوة محمد ـصلى الله عليه وسلمـ وهناك من ارتد عن الدين، وأنكر الشرائع وتركوا الصلاة، وهناك من عاد إلى عبادة الأوثان[٦].

ولاشك أن كل من فعل شيئاً من الأشياء السابقة فيعتبر خارجاً عن الإسلام، حتى من رفضوا الزكاة وأقروا بالصلاة، ومن المعلوم أن منع الزكاة من الكبائر التي تخرج صاحبها عن الملة[٧]، والذين لا يؤتون الزكاة

---

(١) ابن حبيش: الغزوات ، جـ١ ص١٨- ٢٠

(٢) الكلاعي. الاكتفا، جـ٢ ص٩٢.

(٣) الكلاعي: المصدر السابق ، جـ٢ ص٩٢- ٩٣.

(٤) الواقدي: كتاب الردة ، ص٣٠.

(٥) محمد بريغش: ظاهرة الردة، ص٩٦.

(٦) على الصلابي:سيرة أبى بكر الصديق، مؤسسة أقرا،القاهرة، ط١ ٢٠٠٦م ص١٧٩

(٧) الذهبي: الكبائر،تحقيق محمد الجميل، مكتبة الصفا ، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م ص٤١

هم المشركون، قال تعالى (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)[١].

والزكاة من الأعمدة التي بني عليها الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس ،شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا"[٢]، فمن فعل غير ذلك سواء منع الزكاة أو لم يشهد بوحدانية الله ونبوة رسوله، حتى لو أقام الصلاة وصام رمضان فليس بمسلم، لذا نري أن الصديق رضى الله عنه لم يقصر فى تطبيق شرائع الإسلام فى أيام الردة، حتى أن من هول الردة كلمه بعض الصحابة من المهاجرين والأنصار فى أن يقبل الصلاة من بعض المرتدين، وحجتهم فى ذلك أنهم لو أقاموا الصلاة لآتوا الزكاة، فرد عليهم الصديق رداً حازماً قاطعاً، قائلا لهم: "إن تميماً إن أذن لها من الإسلام فى نقض عروة لم ترض بمثله بكر بن وائل ولو أعطيت كنانة والفافها وأحابيشها أمراً لم ترض قيس حتى تزداد، ولئن سمعت قولكم لأنقضَنَّ الإسلام عروة عروة"[٣].

---

(١) فصلت: ٦- ٧.

(٢) البخاري: حديث رقم ٨.

(٣)الجاحظ: العثمانية،تحقيق/عبدالسلام هارون، دارالجيل ،بيروت ط١١ ١٩٩م ،ص٨٣.

(٣) البخاري: حديث رقم ٦٩٢٥؛ الذهبي: الكبائر ص٤١.

(٣) الأزدي: فتوح الشام، تحقيق/عصام مصطفي، مؤسسة حماد الأردن د. ت ص٨٩,٩٥.

ومن أقواله أيضاً حول ذلك "والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ لقاتلتهم على منعها"[١].

ولما لم يكن هناك فائدة من توبة المرتدين عن الإسلام كان لابد من مواجهتهم، لذا نري أن الصديق قد جرد الجيوش لملاقاة المرتدين، فوفد إلى المدينة بعض القبائل لمساندة الصديق فى حربه ، فقدمت حمير ومعها نساؤها وأولادها بقيادة ذي الكلاع يقود عددا كثيراً من أهل اليمن ومعهم العدة، كما قدمت مذحج فيها قيس بن هبيرة المرادي ومعه جمع عظيم من قومه، كما الأزد في عدد كثر وجمع عظيم[٢].

كما قدم حمزة بن مالك الهمداني فى أكثر من ألفي رجل من همذان[٣].

كما قدمت بنو كنانة يقودهم غيثم بن اسلم الكناني[٤]، وقيل قباث بن أشيم الكناني[٥].

ولاشك أن ضمن بني كنانة هؤلاء بعض القبائل الكنانية المنتميه للأحابيش كبني الدؤل مثلاً، والذي كان قد وفد سيدهم نوفل بن معاوية

---

(١) الأزدي: فتوح الشام ص١٢١

(٣) الواقدي: فتوح الشام، تحقيق/ هاني الحاج، المكتبة التوفيقية د. ت، جـ١ ص١٨.

(٤) الأزدي: ص٩٥.

الديلي على أبى بكر الصديق قبل أن يقدم أسامة بن زيد على أبى بكر الصديق[١].

ولا شك أن الصديق وغيره من الصحابة لم يكونوا يجهلون أهمية الأحابيش خاصة من بني كنانة فى الحروب، سواء فى جاهليتهم أو فى عصر النبوة سواء مشركوهم أو مسلموهم، لذا لما أسلم الأحابيش نري أن الخلفاء الراشدين يلحقون قبائل الأحابيش أو بعضاً منها سواء فرادى أو جماعات فى الحروب فى صدر الإسلام التي كانت مهمتها الأساسية نشر الإسلام، في عهد الصديق أبو بكر نري من ضمن المشاركين فى فتح دمشق قضاعي بن عامر الديلي وكان من الشهود على كتاب الصلح الذى كتبه سيف الله خالد لأهل دمشق[٢]، وكان ذلك فى العام الرابع عشر للهجرة حيث أن المسلمون خرجوا لفتح دمشق فى العام الثالث عشر[٣] فى عهد الخليفة أبي بكر ـرضي الله عنه ـ إلا أنه توفي رضى الله عنه قبل إتمام المسلمين فتح دمشق التي أتموا فتحها فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

ولما تولى عمر بن الخطاب ـرضي الله عنهـ الخلافة، كان هو الآخر على يقين بأهمية وبسالة أبناء الأحابيش فى الحروب، فأرسل من أرسل منهم للفتح وأسند إلى بعضهم القيادة، ومن ذلك اشتراكهم فى الحروب

---

(١) الطبري:جـ٢ ص٣٠١.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ٤ ص٣٨٦؛ ابن حجر: الإصابة، جـ٥ ص٢٤١.

(٣) ابن عساكر: المصدر السابق ، ج٢ص١٠٩- ١١١.

التي وجهت إلى بلاد العراق وفارس ومصر، ففي بلاد العراق كان الأحابيش من ضمن القوات التي شاركت فى فتح بلاد العراق حتى إنهم كانوا ضمن التقسيم الذى أمر به الفاروق عمر أن تقسم به مدينة الكوفة إلى أسباع، فكان للأحابيش نصيب من تلك الأسباع[١]، وسبق توضيح ذلك، وفى فتوحات بلاد فارس شارك عساكر الكوفة فى تلك الفتوحات، ففي بلاد فارس كان هناك من الأحابيش من شارك فى الجيوش التي وجهت لفتح تلك البلاد كسارية بن زنيم الديلي فكان على ما يبدو ضمن المشاركين فى فتح نهاوند التي عرفت بفتح الفتوح، لأنه لم يكن بعده كبير حرب[٢].

ولما جاء خبر الفتح إلى الخليفة عمر أذن بالأنسياح فى بلاد الفرس وقام بتعيين قواد الجيوش التي ستذهب لاستكمال فتح بلاد فارس وأرسل بالولاية إلى أصحابها.

وكان من ضمن القواد الذين عينهم عمر بن الخطاب هو سارية بن زنيم الديلي وجعل وجهته إلى فسا ودار ابجرد[٣]، وتذكر بعض المصادر أن

(١) جميل المصري: أثر أهل الكتاب، مكتبة الدار، المدينة المنورة، د. ت ص٢٢٤.

(٢) الخضري: المرجع السابق، جـ١ ص٢٧٦.

(٣) على الصلابي: سيرة عمر بن الخطاب، ص٤٤١.

هذا التكليف كان فى سنة سبع عشرة[١] فى حين أنه تم فتح فسا ودارابجرد فى سنة ثلاث وعشرين للهجرة[٢].

ولقد كان عمر بن الخطاب شديد التفكير فى الجيش الذي قاده سارية بن زنيم لفتح بلاد فسا ودار ابجرد، فيقال إنه فى إحدى الأيام وعمر يخطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عرض في خطبته وقال يا سارية الجبل الجبل ثلاثاً[٣]، فالتفتت الناس بعضهم إلى بعض، فقال علي "ليخرجن مما قال"، فلما فرغ من صلاته قال له على: ما شيء سنح لك فى خطبتك ؟ قال وما هو؟ قال: قولك يا سارية الجبل الجبل، من استرعى الذئب ظلم.

قال: وهل كان ذلك مني؟ قال: نعم.

قال وقع فى خلدي أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا، وقد ظفروا، وإن جاوزوا هلكوا فخرج مني ما تزعم أنك سمعته[٤].

---

(١) الطبري: جـ٢ ص٥٩٢.

(٢) ابن حجر: السابق ، جـ٣ص٥٢ ؛على الصلابي: سيرة عمربن الخطاب ص٤٤١

(٣) ابن حجر: السابق ، جـ٣ ص٥٣.

(٤) سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٩٨٣ م ، جـ٢ ص١٣٦.

وبعد شهر من هذه الواقعة جاء البشير بفتح المسلمين لفسا ودارابجرد على يد سارية بن زنيم، ولما عادوا ذكر سارية أنه كان فى ذلك اليوم فى تلك الساعة، حين جاوزوا الجبل سمع صوتا يشبه صوت عمر يقول: يا سارية الجبل الجبل، قال: فعدلنا إليه ففتح الله علينا[١].

و يذكر أحد الكتاب أن صوت عمر لما انتقل لسارية كان السر فى ذلك هو سرعة الصوت، وليس بفعل انتقال الرياح[٢].

وينسب إلى سارية بن زنيم أيضاً فتحه أصبهان سنة تسع وعشرين[٣] ولسارية بن زنيم مشهد فى مصر يدعى بمشهد سارية الجبل[٤].

ومكانه الحالي داخل قلعة صلاح الدين[٥].

أما عن عدم ذكر سارية بن زنيم فى فتوح مصر، فإن ذلك لا ينفي أن يكون قد وفد مصر بعد فتحها وتوفى بها ونسب إلى قبره المشهد السابق ذكره.

وهناك من القارة من شهد فتح مصر كأبي جمعة القاري[٦].

---

(١) سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ٢ ص١٣٧.

(٢) عيد ورداني: قصة الخلق، الناشرون المتحدون ، القاهرة ط٢ ٢٠٠٢م، ص٥٥١.

(٣) ابن خياط: ص١١٧.

(٤) ابن جبير: ص٥٧.

(٥) سعاد ماهر: المرجع السابق ، جـ٢ ص١٣٦.

(٦) ابن حجر: جـ٧ ص٣٢.

ولعل هذا ينفي ما ذكره أحد الباحثين من أن القارة لم يكن لهم ذكر فى أخبار الفتح أو ما بعده[١]، إلا فى القرن الثاني الهجرى حيث كان منهم يعقوب بن عبد الرحمن المحدث المتوفى سنة ١٨١هـ[٢].

ويرى الباحث أن القارة من الممكن أن يكونوا ضمن أهل الراية فى فتح مصر وكان للقادة أيضاً مشاركة فى فتح بلاد العراق وكان نهم سعد بن أبى عبيد القاري الذي وفد على النعمان بن المنذر[٣] كمبعوث من سعد بن أبى وقاص وأن تفوق القارة ومهارتهم فى الرماية تأهلهم للمشاركة فى الحروب كما كانوا يسمون فى الجاهلية برماة الحدق لتفوقهم فى الرمايه.

وهناك أحد الباحثين يرى أن خزاعة كلها وغفار كانا من الأحابيش[٤]، ومن المعلوم أن خزاعة وغفار وأسلم وأشجع وجهنية وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرض من بني كنانة ومزينة وجماعة من قريش كانوا يشكلون خطة واحدة فى مصر تسمى حطة أهل الراية[٥]، ومن الثابت أن غفاراً وأكثر خزاعة لم يكونوا من الأحابيش كما سبق توضيح ذلك.

---

(١) عبد الله البري: القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولي للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م ، ص٩٨.

(٢) عبد الله البري: القبائل العربية فى مصر ، ص٩٩.

(٣) جواد على: المفضل ، جـ٤ ص٢٢٩.

(٤) على حسن: السابق ، ص٥٨، ٧٤، ٧٩- ٨٠، ٨٣، ٨٥.

(٥) المقريزي: الخطط ، مكتبة الآداب ، القاهرة، د. ت ، جـ٢ ص٧٦.

هذا بالنسبة لمواجهات المسلمين فى العراق وفارس ومصر، أما عن مواجهات المسلمين للروم، فقد كان من الأحابيش من اشترك في موقعة أجنادين ضد الروم، فكان جنادة بن تميم المالكي من بني مالك بن كنانة على أحد جنبي جيش عمرو بن العاص[١]، كما أن أبا أيوب المالكي قد سار لملاقاة الروم فى الرملة[٢]، أما عن دور قبائل الأحابيش فى عهد عثمان بن عفان، فيبدو أنهم ظلوا على ما كانوا عليه قبل تولي عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة، ففي فتح أرمينية كتب عثمان بن عفان إلى الوليد بن عقبة عامله على الكوفة أن تنتخب من أهل الكوفة عشرة آلاف فارس ويضمهم إلى سلمان بن ربيعة ويوجه بهم إلى حبيب بن مسلمة معونة لهم على عدوهم[٣].

ولا شك أن من ضمن العشرة آلاف كان هنك قوة من الأحابيش مشاركة فيها، لأن فى الكوفة كما سبق القول، كان هناك جماعة من الأحابيش فى الكوفة، لذا لا يستبعد أن يكون الأحابيش وهم من أهل الحرب أن يكونوا ضمن هذا الإمداد.

---

(١) الطبري: المصدر السابق ، جـ٢ ص٥٢٣.

(٢) الواقدي: فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، مطبعة الحرية، ١٨٩١م، ص١٣٩.

(٣) البلاذري: جـ١١ ص١٤٦.

وفى عهد الخليفة على بن أبى طالب نراه قد عمل على الرفع من شأن بعض الأحابيش خاصة من بني الديل وبني مالك بن كنانة فكان الخليفة على قد اتخذ من الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية ،وفى إحدى خطبه أشاد بقوة بني فراس من بني مالك بن كنانة، وقال: "وددت أن لى بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم من بني مالك بن كنانة"[١].

وفى موقعة صفين خرج جند الكوفة ممثلين للأسباع، فكان السبع الذي ينتمي إليه الأحابيش ضمن الذي خرج، فكان قائد هذا السبع معقل بن قيس اليربوعي على تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة وأسد[٢]، ولما تجمع الجنود الموالين لعلي بن أبى طالب والجنود الموالين لمعاوية بن أبي سفيان، قام كل منهما بإعادة ترتيب الجنود، وتعيين رؤساء الجيش، فكان القسم الذي فيه قريش وأسد وبني كنانة الذين خرجوا من الكوفة جعل تحت قيادة عبد الله ابن عباس ، وقد أبدى كنانة وبنو أسد من ضروب الشجاعة فى هذه الحرب ما جعل عامراً بن واثلة الليثي يشيد بذلك:

حامت كنانة في حربها وحامت تميم وحامت أسد
و حامت هوازن يوم اللقا فما خام منا ومنهم أحد

(١) البلاذري: ج١١، ص١٤٦.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، حقيق/ عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة ، ط٢، ١٣٨٢هـ ، ص١١٧.

وعندما خرج على بن أبى طالب للقتال بنفسه كان فى قلب الجيش مع أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة من خزاعة وكنانة وغيرهم[١]، وكان هشام بن عتبة بن أبى وقاص ابن أخي سعد بن أبى وقاص ـرضى الله عنهماـ أمه من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة الأحابيش، وكان هشام من الذين قاتلوا مع على بن أبى طالب بصفين وكان يقال لهاشم الأعور والمرِقَّال، قد قُطعة رجله يوم صفين ولم يمنعه ذلك عن القتال، فكان يقاتل من دنا منه وهو بارك حتى قُتل[٢].

وكان من الذين يحبون علياً بن أبى طالب حباً شديداً أبو الأسود الدؤلي، وهو من الأحابيش أيضاً، فعندما خرج عبد الله بن عباس إلى على بن أبى طالب يوم صفين استخلف أبو الأسود عليها[٣].

ولما خرج الخوارج على على بن أبى طالب وبعد التحكيم وجه عبد الله بن عباس أبا الأسود الدؤلي على رأس ألف فارس لملاقاتهم[٤]، وقد تسبب حب أبي الأسود لعلي بن أبى طالب أن أوذى بسبب ذلك فعندما

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص٢٠٥، ٢١٢، ٢٣٣.

(٢) ابن بكار: جـ٢ ص٥٣٦- ٥٣٧.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال ، ص٢٤٣.

(٤) الدينوري: المصدر السابق ، ص٣٠٣.

(٤) أبو سعيد السكري: ديوان أبى الأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن، مؤسسة ايف، بيروت ١٩٨٢م ص٦٤.

(٤) القفطي: أنباه الرواه، تحقيق/ محمد أبوالفضل، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط١ ١٩٨٦م ، جـ١ ص٥٦.

تولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة عين زياد بن أبيه على العراق، فكان أبو الأسود يأتيه ويطلب الحاجة فربما قضى زيادا له حاجته وربما ثناه عن ذلك ما يعرف من هواه فى على بن أبى طالب فقال فى ذلك:

رأيت زياداً صد عنى وردني وما كان خياباً من القوم سائله

ننفذ حاجات الرجال وحاجتي كداء الجوى فى جوفه لا يزابله[٤]

وكان أبو الأسود له ثقله فى أيام الخلافة الراشدة، معروف قدره حتى إنه كان قد استعمل ابنه عطاء على شرطة البصرة وبعج[٥].

وبعد قيام الدولة الأموية أصبح من الواضح أن دور الأحابيش ومكانتهم أصبح يهمل من قبل الخلفاء الأمويين، والدليل هو حديث عبد الله بن صفوان مع معاوية بن أبى سفيان، وطلب فى حديثه هذا أن يهتم بالأحابيش ويخالطهم بنفسه وقومه[٦][١].

وبعد العرض السابق لدور الأحابيش العسكري فى بعض حروب الجاهلية وصدر الإسلام إتضح أهمية الأحابيش كقوة عسكرية، مما ينفي رأي أحد الباحثين حينما قال أن الأحابيش لم يلعبوا دوراً خطيراً فى تلك الحروب[٧][٢].

(١) ابن بكار: المصدر السابق، ج٢، ص٨٧٥.

(٢) جواد على المفصل: ج٤، ص٣٦.